الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم اللّغة
شعبة الدّراسات البلاغية

الموضوع

بنية الخطاب القرآني الموجّه إلى محمّد ﷺ
بصيغتي: "يا أيّها النبيّ" و "يا أيّها الرّسول"
دراسة: إحصائية ، أسلوبية، بلاغية

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في
الدّراسات البلاغية

إعداد الطالبة:
زهية نكّاع

إشراف الأستاذ الدّكتور:
رابح دوب

أعضاء اللّجنة المناقِشة

الدّكتورة :زينب صبيعة.	- رئيسا
الدّكتور : رابح دوب.	- مشرفا و مقرّرا
الدّكتورة : ذهبية بورويس.	- مناقشا
الدّكتور : صالح خديش.	- مناقشا

السّنة الجامعية: 2008/2007

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

* إلى والديّ ...

اللذين أراد الله أن يصطفيهما إلى جواره قبل أن يملأ عينيهما من ثمرة الغرسة التي زرعاها بأيديهما ورعياها حبا وحنانا وسقاية.

وكم كنت أتمنى على الله وأرجو أن يكونا هنا معي اليوم. لتزداد فرحتي ويكتمل سروري.

ولكن الله سلم. فالحمد لله على اختيار الله و إنا لله وإنا إليه راجعون.

* أهديها كذلك إلى روح أخي البكر: أبو القاسم الذي سبقهما إلى جوار ربه وأدعو الله أن يجمعه بهما. ويجمعنا بهم جميعا في جنة الخلد آمين.

* إلى كل إخوتي وأخواتي، إلى من يجمعني بهم صلة القرابة، تلك الصلة المقدسة وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم، أطال الله لي في أعمارهم وحسن أعمالهم .

* إلى زوجي فاتح فتح الله به على يديه هذه العودة المباركة إلى دور العلم والكتب، وأحسن ونصر.

فكان خير سند في الشدة والرخاء. وإني لا أفيه حقه من الشكر والامتنان حتى

وهو يعاتب علي تماطلي في إنجاز هذا البحث. فأنا أوقن حق اليقين

أن ذلك العتاب أو هذا التثريب إنما هو نابع من شدة

حرصه على مصلحتي، وحبه الخير لي

وخوفه على أن أضيع الفرصة

الأخيرة في هذا الشأن.

فشكرا زوجي وعذرا، أرجو أن تكفيني مئونة ومشقة الاعتذار بالكلمات لينوب

عني هذا العمل إرضاء لك، وأستسمحك على ما بدر مني طيلة هذه الرحلة

من جفاء أو تهاون أو خطأ. فالمعذرة ....المعذرة ....عذرا.

* إلى قرة عيني، ونور بصري، صغيرتي " نور سارة" ذلك النور المشع الدافئ، الذي ملأ علي حياتي، فأدفأ حضني وأثلج صدري. إلى فراشتي حفظك الله ورعاك وأطال في عمرك

حتى تكوني ذخرا لوالديك، وتتابعي مسيرة العلم حاملة

مشعل البحث وباله من مشعل مبارك طيب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* وقبل كل هؤلاء، وإن جعلته خاتما، فما هو إلا ختام مسك: أستاذي ومعلمي وصاحب الفضل علي، ذلك الدءوب الحريص، والمشرف على رسالتي الدكتور : رابح دوب، رائد البلاغة والدراسات القرآنية في هذه الجامعة، أطال الله لنا في عمره وزاده علما ونورا واستبصارا.

أشرف فشرف وشرف، ولا تسعني الكلمات لأطري على فضله علي إنما أكتفي بقول الشاعر أحمد شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا * كاد المعلم أن يكون رسولا

* أهدي عملي هذا، إلى كافة أساتذتي وأستاذاتي في هذه الجامعة منذ أول يوم دخلته فيها سنة ثمان وثمانين إلى آخر يوم خرجت منها عام خمس وتسعين في الماجستير الأولى، وعام ألفين وخمسة في الثانية.

* وأخاف إن خصصت بالذكر أحدا دون آخر أن أنسى أو أقصر في الشكر، ولذلك فالإهداء ثم الشكر لكم جميعا أساتذتي الكرام.

* كما أهديها إلى كل موظفي هذه الجامعة: مديرا ونوابا ومكلفين.

إلى كل الطلبة والطالبات، سواء من عرفت منهم عايشت وصاحبت أم من لم اعرف، وأقول لهم: أحملوا هذه الأمانة فإنها بأيديكم وعلى أكتافهم ملقاة، وارعوها حق رعايتها، وفقكم الله لذلك.

وأخيرا، أعود لوالدي لأقول:

لقد عدت من الشام إلى الجزائر طمعا في لقياكم وإدخال السرور عليكم بهذا العمل.

لقد عدت فعلا ولم أجدكم هنا بين الأحياء.

لقد عدت... لأنثر على قبريكما الطاهرين دموعي...

وأقرأ عليكما صدى هذا الإهداء عسى تسمعانه مني...

وهذه الباقة من الأزهار البيضاء. فارضيا عني وقرا عينا.

ابنتكم المحبة: زهية نكاع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء خاص

* إليك أنت يا رسول الله، إلى روحك الطيبة وجسدك الشريف.

أعلم أنك تسمعني، إنك تقوم من مضجعك لترد التحية على من صلى عليك، فصلى عليك الله وسلم

أزكى صلاة وأطيب تسليم.

* إليك حبيب الله أهدي العمل المتواضع، وكلي خوف وحياء.

خوف من أن لا أكون وقيتك حقك من الإنصاف...

وحيائي من أن أكون قد أخطأت دون قصد مني في تبيين الحق ،

والحق أنت أعلم به مني حبيبي رسول الله.

صليت وراءك في منامي .... وكان عمري لا يتجاوز أربعة عشر ربيعا...

والآن وبعد مضي أكثر من عشرين سنة ،عدت إليك.

عدت إليك من جديد لكن ليس في منامي، بل في يقظتي.

عدت لا لأصلي وراءك صلاتي المعهودة، بل لاتبع أثرك بالدراسة والبحث في سيرتك وشخصيتك،

وعلاقتك بربك.

تبعت أثرك ودعوت ربي أن يبارك مسيرتي وراءك حتى أنهيتها بعد جهد جهيد.

فارض اللهم عني، وبلغ رسولك مني أزكى الصلوات وأطيب التسليم،و اجعلني من الذين قال فيهم:

"هؤلاء هم إخواني آمنوا بي ولم يروني" فصلى الله عليك وسلم.

آمين يا رب العالمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

* يسرني، في بداية هذا البحث المذكرة، أن أتقدم بشكري الجزيل، إلى أستاذي الدكتور رابح دوب، الذي أشرف على الرسالة، مذ كانت فكرة في رأسي، حتى رأت النور اليوم.

وقد شملني أستاذي بعطفه ورعايته وتوجيهه، وغمرني بحسن استقباله في كل مكان قابلته فيه، سواء في مكتبة الجامعة، أو في مكتبة الخاص بالجامعة وكنت وكنا جميعا نشغله عن مطالعاته مرة، وعن اجتماعاته ومشاغله العائلية مرة أخرى،

و ذلك منذ سنوات اللسانس البعيدة، ومناقشاتها الطويلة معه،

أشياء كثيرة يصعب علينا اليوم حصرها، ولعل أهمها القدرة على الاستنتاج، والاستدلال المنطقي، وسعة الأفق، والإقناع بالحجة والدليل، والنظر إلى الأمور نظرة كلية صائبة، وعدم الاكتفاء بالنظرة الجزئية العجلى.

كل ذلك في إطار من حرية التفكير، واحترام الرأي، سما جعله خير دليل يأخذ بأيدينا، فينير لنا الدرب، ويبدد عتمته.

فإلى أستاذي الفاضل أتوجه مرة أخرى بالشكر والثناء على عظيم ما قدمه لي، وتحمله لعناء قراءة فصول الرسالة، وتصحيحها، وسماعه لأسئلتي ومناقشاتي، بأدب جم، وسعة صدر، راجية أن تنال الرسالة إعجابه، وأن أكون موضع ثقته.

* كما أشكر لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة رسالتي، وعلى ملاحظاتهم القيمة وآرائهم السديدة.

* كما أتقدم بالشكر والامتنان، إلى كل من أسهم في تقديم المساعدة والمعونة لي سواء في جمع مادة البحث، أو في طباعته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

* يسرني، في بداية هذا البحث المذكرة، أن أتقدم بشكري الجزيل، إلى أستاذي الدكتور رابح دوب، الذي أشرف على الرسالة، مذ كانت فكرة في رأسي، حتى رأت النور اليوم.

وقد شملني أستاذي بعطفه ورعايته وتوجيهه، وغمرني بحسن استقباله في كل مكان قابلته فيه، سواء في مكتبة الجامعة، أو في مكتبة الخاص بالجامعة وكنت وكنا جميعا نشغله عن مطالعاته مرة، وعن اجتماعاته ومشاغله العائلية مرة أخرى،

و ذلك منذ سنوات اللسانس البعيدة، ومناقشاتها الطويلة معه،

أشياء كثيرة يصعب علينا اليوم حصرها، ولعل أهمها القدرة على الاستنتاج، والاستدلال المنطقي، وسعة الأفق، والإقناع بالحجة والدليل، والنظر إلى الأمور نظرة كلية صائبة، وعدم الاكتفاء بالنظرة الجزئية العجلى.

كل ذلك في إطار من حرية التفكير، واحترام الرأي، مما جعله خير دليل يأخذ بأيدينا، فينير لنا الدرب، ويبدد عتمته.

فإلى أستاذي الفاضل أتوجه مرة أخرى بالشكر والثناء على عظيم ما قدمه لي، وتحمله لعناء قراءة فصول الرسالة، وتصحيحها، وسماعه لأسئلتي ومناقشاتي، بأدب جم، وسعة صدر، راجية أن تنال الرسالة إعجابه، وأن أكون موضع ثقته.

* كما أشكر لجنة المناقشة على تفضلهم بمناقشة رسالتي، وعلى ملاحظاتهم القيمة وآرائهم السديدة.

* كما أتقدم بالشكر والامتنان، إلى كل من أسهم في تقديم المساعدة والمعونة لي سواء في جمع مادة البحث، أو في طباعته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مـــــــقدمة:

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستهديه، و نعوذ بالله من شر أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مظل له، و من يظل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلوات الله و سلامه عليه.

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا ، و جعله معجزة باقية ما بقيت السماوات و الأرض، لا تفنى جدته، ينطق بالحق و يبين عن الصدق، لانت له القلوب، و خضعت له عقول الجهابذة، حججه بالغة و أقواله واضحة، تحدى الله به الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله. قال عز من قال في سورة الإسراء :" **قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا**" فوقف أرباب الفصاحة و البيان مشدوهين أمام هذا التحدي و قد تعطلت لغة الكلام لديهم و كلت عقولهم، و رأو أن حمل السلاح و القتال في المعارك أهوان عليهم من التفكير في الإتيان ولو بآية من مثله، و أيقنوا بأن هذا القرآن " لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد." و هو دين الله الذي انزله الله على رسوله و نبيه محمد ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و بعد ، فإنه من دواعي الغبطة و السرور أن يشرفني أستاذي و معلمي المشرف على بحث الدكتور: رابح دوب بتناول هذا الموضوع بالدراسة و ذلك أنه اقترحه علي باعتباره أدرى و أعلم بخلفيته و دوافعه مني، و حاجة الساحة العلمية لتلك الدراسة فوافقته على اقتراحه لعلم بجدارته في هذا الميدان، فكان فعلا موضوعا يستحق التقصي و البحث، على الرغم من جدته و قلة من مخاض فيه، إضافة إلى قلة المراجع و المصادر التي تناولته من جهة تناول له، و خصته من جهة دراستي له... فيمما هو في الكتب إن الدرة الثمينة النادرة المتخفية التي لا تكاد تجد لها أثرا حتى تضيء عدة أنوار، و ترهف لها السمع و الحس و الشعور... حتى تتبين لك بعض من خيوطها، لا كلها، و هكذا كانت رحلتي مع بحثي، لم أحسب للوقت حسابا فيه، و إنما كان عملي فيه إلهاما لا يواتيني إلا من حين لآخر ، و ذلك كلما عن له بصيص من هنا و هناك و اجتذبتني ومضة من كتاب أو مقال أزو فكرة أو سبحة أو تأمل أو خاطرة، و قد صدق الشيخ الفاضل الشعراوي – عليه رحمة الله– لمتا أطلق لفظة " خواطر" على كل من يجول حول القرآن من دراسات و تأويل.

مجال البحث:

يعد القرآن الكريم بمختلف علومه و مجالاته الحيوية و ما يضفيه من إشراقات متجددة في الروح و الكرم و الحياة، مجالا لهذا البحث.

ففيه صببت إهتمام و ركزت دراستي و منه استوحيت ما توصلت إليه من نتائج فكان المورد و المصدر، و قد اخترت دراسة صيغة الخطاب و خصصت بالدراسة صيغتين إثنين هما (يا أيها النبي) و (يا أيها الرسول) فتناولتهما من الناحية البلاغية الأسلوبية باعتبار تخصصي و لم أهمل بقية الجوانب.

مـــوضوع البحث:

أما موضوع البحث فيتضح من خلال عنوانه و هو دراسة نظرية و تطبيقية لبنية هاتين الصيغتين كونهما وسيلة استعملها الله سبحانه و تعالى في توجيه الرسالة العقادية و التشريعية لرسوله صلى الله عليه و سلم فحاولت أن أوازن بينهما لأكشف عن أسرار كل صيغة و تميزها عن الأخرى مهما بدت متماثلتين، و أجريت مصدر للآيات المشتملة عليهما بالإحصاء، و عموما فقد حاولت إجابتي على عدة أسئلة منها:

1- هل يوجد فرق بين نداء الله لنبيه بالنبي و ندائه له للرسول ؟

2- ما مدى التشابه و الاختلاف بين الصيغتين في النواحي المدروسة؟

3- هل ما زعمه المستشرقون حول مسألة العتاب و التبليغ حقيقة قائمة أم وهم و إدعاء باطل يحتاج إلى تبيين و تصحيح، كما أجبت على إشكالات أخرى؟

أهـــمية البحث:

و تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع من كونه يكشف عن بعض خصائص هاتين الصيغتين و من ثم عن خصائص الأسلوب القرآني و التي قل البحث فيها إلا نادرا فحاولت إلقاء الضوء على جانب كان خافيا في مجال الخطاب القرآني للرسول الذي كان يؤخذ على وجه العموم لأفضل بعض الشيء في الصيغ المختلفة التي استعملها مبينة دوافعها و أثرها.

أهـــداف البحث:

أما الهدف من هذا البحث فيكمن في أنه محاولة للكشف عن ملامح الخطاب القرآني و صيغه المختلفة و بنيته و ما تناولي للصيغتين المذكورتين بالتخصيص إلا إرادة مني إلى التنبيه إلى

مسألة هامة و إثارة ما فيها من معاني تتمثل في كون المنادي الذي هو محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن كبقية الرسل فلا تجد خطابا و لا نداءا من الله له قال فيه يا أبا القاسم أزو يا محمد أبدا و إنما أورد له اللقب الذي وضعه له ربه و المشعر بالرفعة و التكريم و الشرف عند الله و عمد البشر و إذا قارن ذلك بنداءات الله لرسله عليهم السلام منذ آدم لا تجد رسولا نودي إلا باسمه و حتى في الإخبار عنه جاء اسمه محمد مقترنا بلقب الرسول و ذلك في أربع مواضع معروفة في القرآن الكريم. إذن فالمسألة تكمن في أن محمد صلى الله عليه و سلم هو الرسول الوحيد الذي كورمه الله بهذا النداء دائما بالرسالة أو النبوة و هذا يدل على أن الرسول الذي جاء ناسخا للكل و مؤمنا في دينه بالكل.

الـــــدراسات السابقة:

لا شك أن مثل هذه الظاهرة شيء لا يخفي على فطاحل هذه الأمة و علمائها و بلغائها ممن أوتوا شيئا من الحكمة و فصل الخطاب، فهي ظاهرة تشد غليها الألباب و تبعث على الفضول العلمي و لا يمكن استغفالها لأنها جزء من كيان الأسلوب القرآني المتفرد.

بالرغم من ندرة ما كتب فيها و عنها مقارنة بغيرها من الظواهر الأخرى، إلا أنني تمكنت من رصد بعض ما كتب فيها، و إطلعت على بعض الأبحاث الأكاديمية و أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- رسالة الدكتور التي قدمها الدكتور سعودي نواري المعنونة :" بنية الخطاب القرآني في الصورة المكية- دراسة وصفية تحليلية".

- كتاب الدكتور سليمان عشراتي المعنونة:" الخطاب القرآني: مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي".

كما لا أنسى القدامى بدراستهم البلاغية المتفرقة، و إن كانت تأخذ الطابع الموسوعي البعيد عن التخصيص، فهي دراسات شمولية لا تكاد تقف فيها إلا على إشارات متناثرة حول هذه الظاهرة. و يكثر هذا في كتب التفاسير و أسباب النزول برمتها، و كتب الأسلوب و البيان و اللغة و كتب السيرة، و لا يكاد الباحث يستغني عنها باعتبارها أمهات الكتب و أصولها.

و من أمثال هؤلاء:

- الجرجاني و الزمخشري و الزركشي و الواسطي في التفسير و البلاغة.

- النيسابوري في أسباب النزول.

- الحاحظ في بلاغته.

- و المحدثين المعاصرين من أمثال: السيد قطب و الأستاذ الدكتور: شوقي ضيف و الشعراوي و الورداني و فاضل السمرائي... و غيرهم كثر لا يتسع المجال لذكرهم جميعا.

أســـباب إخـــتيار الموضوع:

تبدأ صلتي بهذا الموضوع منذ أن سجلته في الجامعة لنيل درجة الماجستير في الدراسات البلاغية و ذلك باقتراح من أستاذي الفاضل الدكتور المشرف: رابح دوب.

إن هذا الموضوع الذي اخترته فتبلورت فكرته على شكل عنوان محدد، إنما كان يتخمر بداخلي منذ وقت طويل في صفة أفكار متفرقة استقيتها من مطالعاتي الأدبية و اللغوية و القرآنية، فأجبت أن أدلي بدلوي في هذا المجال، في الأسلوب القرآني المعجز بألفاظه و عباراته و معانيه.

و استوقفني و أنا أتتبع بشغف ما كتب في هذا الحقل الواسع، استوقفني موضوع الخطاب الإلاهي من خلال القرآن الكريم، موجها إلى رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم، بمختلف الصيغة الخطابية أو الغيابية، فأحببت أن أركز على الخطاب خاصة بـــ: " يا أيها " بصيغتيه:" يا أيها النبي" و " يا أيها الرسول"، و عكفت على دراستهما من أوجه عديدة إحصائيا و دلاليا و بلاغياّ، و لم أنسى أن أعرج على أسباب النزول.

ذلك و لا يفوتني أن ألخص أسباب إختياري للموضوع في النقاط التالية:

1- شغفي بدراسة الظواهر القرآنية البلاغية و خاصة التي تدرس الأسلوب.

2- ندرة الدراسات في هذا الموضوع بالذات مما أدى بي إلى محاولة سد هذه الثغرة.

3- إحترامي لاقتراح أستاذي في اختياره ليقيني أنه إنما فعل ذلك ثقة بمؤهلاتي العلمية من جهة، و كونه أدرى بحاجة الساحة العلمية إلى هذا الموضوع من جهة أخرى، و " أهل مكة أدرى بشعابها".

خطة البحث:

أما فيما يتعلق بتقسيم البحث الخطة المتبعة فقد كانت مشتملة على مقدمة و مدخل و موزعة على ثلاثة فصول و خاتمة و ذلك وفق التفصيل الآتي:

الـــمدخل:

تحدثت في المدخل عن مفهوم الخطاب في اللغة و الاصطلاح كما عرضت فيه مختلف مواصفاته و مميزاته، ثم عرجت إلى أوجه الخطاب عند ابن الجوزي في كتابه " اللفيس" ، حيث ركزت عليها دون إهمالي لذكر أوجه أخرى عند غيره. فذكرتها بالتفصيل شريحة المفهوم كل وجه، و توجت كل ذلك بتعقيب و أبديت فيه رأيي حول تلك الأوجه بمثابة خلاصة و استقراء، و انتقلت بعد ذلك إلى الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول صلى الله عليه و سلم و هو صميم الموضوع باعتباره مدار بحثي، مركزة على الصيغتين: " يا أيها الرسول"، " و يا أيها النبي" باحصائهما في القرآن الكريم إذا تتبعت مواضع ورودها فيه و بعد ذلك رأيت أنه يجدر تنويه إلى مسألة طبيعة الخطاب و تنوعه حسب الموقف المرافق له و الموجه، أي علاقة الخطاب بالمناسبة. و بينت ذلك كله بتعقيب كتابي لخصت فيه ما جاء قبله مع بعض النتائج.

الفصل الأول: و عنونته بـــ" الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول صلى الله عليه و سلم بصيغة يا أيها الرسول" تعرضت فيه إلى دراسة هذه الصيغة فقسمته إلى أربعة مباحث تناولت فيها مفهوم الرسالة النبوية لغة و اصطلاحا و الفرق بين الرسول و النبي ووقفت من خلالها على مسألة النداء في القرآن الكريم و تكراره و أغراضه و مدلولاته، موضحة ذلك كله في جدول إحصائي تفسيري، كما تعرضت إلى أسرار هذه الصيغة و مكانته صلى الله عليه و سلم بين الأنبياء، و في المبحث الثالث أشرت إلى صيغ أخرى غير صيغة الخطاب تحويل لفظة (رسول) منفردة أو مقترنة باسمه حيث مثلت لذلك من آيات القرآن.

و أنهيت الفصل بخاتمة جزئية لخصت فيها ما جاء فيه.

الفصل الثاني: و عنوانه :" الخطاب القرآني للرسول صلى الله عليه و سلم " بصيغة يا أيها النبي و يضم أربعة مباحث و خاتمة جزئية .

المبحث الأول: تعريف النبوة و النبي، لغة و اصطلاحا، كما عرفت معنى الوحي و تعرضت فيه إلى سيرته صلى الله عليه و سلم و شخصيته قبل البعثة.

المبحث الثاني: تناولت فيه مواضع ورود " يا أيها النبي" في القرآن الكريم، و أسباب نزول آياتها و بعض التفاسير.

المبحث الثالث: أسرار هذه الصيغة، حيث تناولت فيه مسألة هامة و خطيرة استثارها المستشرقون حول العتاب الإلاهي و التبليغ فادعوا أن الآيات مبدوءة لهذه صيغة التأنيب و لوم من الله و الآيات المبدوءة بصيغة ثانية فهي المقصودة بالتبليغ، فقمت بالرد على زعمهم إذ بينت مدى صحة ما ذهبوا إليه بين الإدعاء و الاستقصاء و حاولت إظهار وجه الحقيقة من الوهم.

ثم أشرت في المبحث الرابع كما في الفصل الأول من الصيغ الأخرى غير الخطابية لورود لفظة نبي فوقفت على آية 81 من آل عمران نموذجا و أجريت مقارنة بينهما و بين الآيات 13 و 14 و 15 من سورة الشورى حيث خلصت إلى وجود نقاط تقاطع متعددة تحوي الكثير من الأسرار و اللطائف البلاغية و اللغوية و التشريعية ثم ختمت الفصل بخاتمة جزئية لخصت من خلالها نتائجها.

الفصل الثالث: الموازنة بين الصيغتين و يحوي مبحثين تعرضت فيهما إلى الموازنة بين الصيغتين من النواحي: البلاغية و الأسلوبية و آراء البلاغيين في الأسلوب القرآني، كما تناولت الناحية النفسية للرسل عموما و للرسول صلى الله عليه و سلم بصفة خاصة باعتبارهم مستقبلين للخطاب تناولت فيه الجانب الصوتي و الدلالي و أثارها في سياق الخطاب و حالة المتلقي، و لم أهمل الجانب النحوي و الصرفي حيث أشرت إلى أسلوب النداء و آراء النحويين فيه.

أما المبحث الثاني فقد جعلته تكملة للموازنة و خصصته للصيغة فأجريت العمل نفسه في دراستها. حيث تناولت هذه الصيغة من الجانب البلاغي و الأسلوبي و الدلالي و النفسي و الصوتي.

و خلصت من خلال المبحثين إلى خاتمة جزئية استقرأت فيها نتائج الموازنة و بينت الأسرار الكامنة وراء إختيار و استعمال كل صيغة لأكشف تميزها عن الأخرى كما ضمت هذه الخاتمة أهم النتائج المتوصل إليها خلال البحث.

المنهج المتبع في الدراسة:

نظرا لطبيعة الدراسة في هذه المواضيع، إرتأيت اتباع المنهج الوصفي و التحليلي معتمدة على إحصاء دقيق لورود الصيغتين في القرآن الكريم، فالمنهج الوصفي و الإحصائي يلائم تتبع هذه

الصيغ، و المنهج الثاني (التحليلي) الضروري لبناء سرح الإشكالية القائمة على تحليل تلك الخطابات.

المصاعب التي واجهتني خلال بحثي:

الله يعلم أن هذا البحث قد إستنفذ مني الطاقة و بلغ مني الجهد و ذلك لأسباب عديدة منها:

- تشعب موضوعاته من جهة، و ندرة ما كتب فيه بالخصوص من جهة أخرى، فقد بدأت في جمع مادته العلمية حتى قاربت على الإنتهاء، و لم أهتد إلى أي بحث أو كتاب تناول موضوع بحثي بالذات أو تناول الحديث في ما يمت إليه بصلة مباشرة أو غير مباشرة.

و أظن ذلك راجعا إلى كونه موضوعا جادت به الساحة الحديثة و الأصيلة معا، و مما أورده المستشرقون من شبهات و أباطيل، فعجت به كتب الدعاة و المفكرين و يمكن أن ألخصها في:

- نقص المادة بل و انعدامه تماما فكان الإجتهاد شخصيا في المجال التطبيقي، و حينما تقل المراجع المعاصرة فإن الباحث يشعر بالوحدة في ميدان بحثه لا يجد ما يتقوى به من آراء المعاصرين لكني لا أنكر وجود بعض المصادر و المراجع التي كانت لي سندا في بحثي.

المصادر و المراجع:

و قد اعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع في الجزء النظري أهمها:

- كتب علوم القرآن: منها البرهاني في علوم القرآن الزركشي و جواهر و القرآن لأبي حامد الغزالي و أسباب النزول الواحدي النيسابوري، و من المعاصرين المعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم الشعراوي.

كتب التفسير: منها تفسير الجلالين، و الكشاف للزمخشري، و الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي و التفسير الطبري و القرطبي و من المعاصرين (الظلال) للسيد قطب و غيره.

- كتب الإعجاز: منها دلائل الإعجاز للجرجاني و معاني القرآن للفراء و المعجزة القرآنية لابن الشيخ الحسين سفيان ، و المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي و كشوف جديدة للقرآن الكريم لعادل عبد الله القليقلي.

- كتب النبوة و الوحي:

منها دلائل النبوة للبيهقي، و الظاهرة القرآنية لمالك ابن نبي و غيرهما ، كما استعنت بالدوريات و الأنترنيت فكان أهم كتاب و هو بحث مقدم لنيل الدكتوراه بعنوان: بنية الخطاب القرآني في

الصورة المكية لصاحبه سعودي النواري، كما استعنت ببعض الكتب الأجنبية و المعاجم منها: لسان العرب لابن المنظور، أساس البلاغة للزمخشري و القاموس المحيط لفيروز أبادي .

و الله أسأل أن أكون قد استوفيت حق هذا البحث، و أضفت و لو باليسير الجديد إلى الدراسات السابقة في هذا المجال آمين كما لا أنسى بالدعاء أصحاب الفضل علي و على رأسهم الدكتور الفاضل " رابح دوب" الذي كان بمثابة السراج المنير بصبره و نصائحه وسعه صدره حفظه الله و زاده علما كما أتقدم بالشكر و الامتنان و التقدير إلى كل من كان له فضل المشاركة في تقييم بحثي و آخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المدخل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

تعريف الخطاب:

الخطاب لغة:

الخطاب و المخاطبة: مراجعة الكلام، و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا، و هما يتخاطبان، و المخاطبة تفيد الاشتراك و المشاركة في فعل ذي شأن.[1]

إنّ مصطلح "خطاب" اسم مشتقّ ما مادّة (خ.ط.ب) وقع اعتماده من طرف الفكر النّقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح النّقدي الغربي « Discours »، و لإدراك مدلوله في الدّراسات العربية القديمة لا بدّ من الرّجوع إلى بعض المعاجم العربية و كُتب اللّغة و الفكر و الأدب باعتبارها المرشّحة لذلك.

و لعلّ ما يساعدنا على معرفة دلالة هذا المصطلح في التّراث العربي القديم هو نصّ القرآن و لسان العرب لابن منظور (ت . 711هـ) باعتبار القرآن هو الكتاب الأكثر تجانسا مع خصائص اللّسان العربي، أمّا لسان العرب فيساعدنا بالرّجوع بالكلمة إلى أصلها اللّغوي على امتداد زمنيّ كبير، كما أنّه يجنّبنا مشقّة البحث عن دلالة هذا المصطلح في تراثنا الضّخم.

تردّدتْ مادّة "خ.ط.ب" في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرّة موزّعة على اثنتي عشرة سورة، و يصعب إحصاء مدى تواتر هذا المصطلح في كتب الحديث و السّيرة. و أحيل على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النّبوي للوقوف على استعمال هذا المصطلح و دلالته الموظّفة في مختلف السياقات.

و يرتبط الحديث عن الخطاب بالخطابة التي فصّلها أرسطو طاليس عن الشّعر، و قد قال عن مكوّناتها: "أمّا اللاّتي ينبغي أن يكون القول فيهنّ على مجرى الصّناعة فثلاث: إحداهنّ الإخبار من أيّ الأشياء تكون التّصديقات، و الثّانية ذكر اللاّتي تستعمل في الألفاظ و الثّالثة أنّه كيف ينبغي أن ننظّم أو ننسّق أجزاء القول." اهـ. و نستخلص من مقولة أرسطو عناصر الخطابة : عنصر الإقناع أو البراهين، الأسلوب أو التّنظيم أو البرهان و ترتيب أجزاء القول.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، بيروت 1988، ص 856. . ،

الخطاب اصطلاحا:

يُعرّف الخطاب على أنّه نصّ محكوم بوحدة كلية واضحة يتألّف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدّث فردٍ يبلّغ رسالة ما.[1]

مفهوم الخطاب: ... و في الخطابة يقول جابر بن حيان في مقتبساته "البيان و التّبيين" 2/3: نزلت الحكمة على رؤوس الرّوم و ألسن العرب و قلوب الفرس و أيدي الصّين، و قد زادتهم جزيرتهم شرا و لكنّهم عوّضوا الفطنة العجيبة، و البيان الرّائع، و التّصرّف المفيد، و الاقتدار الظّاهر... و وصولا بحدّة الذّهن إلى كلّ معنى معقول، و صار المنطق الذي بان به غيرهم من الاستخراج مركوزا في أنفسهم من غير دلالة علية... بل فشا فيه كالالتقاء و الوحي لسرعة الذّهن و جودة القريحة."[2]

و يقول الجاحظ: " و كلّ شيء للعرب فإنّما هو بديهة و ارتجال، و كأنّه إلهام و ليست هناك معاناة و لا مكابدة و لا إجالة فكر و لا استعانة، و إنّما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام و إلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتدح على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة و المناقلة أو عند صراع أو في حرب. فما هو إلاّ يصرف وهمه إلى جملة المذهب أو العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالا، و تنهال عليه الألفاظ أشيالا، ثمّ لا يقيّده على نفسه و لا يدرّسه أحد من ولده، و كانوا أميين لا يكتبون، و مطبوعين لا يتكلّفون، و احد في نفسه أنطق، و مكانه في البيان أرفع، و خطباؤهم أوجز، و الكلام عليهم أسهل و هو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفّظ أو يحتاجوا إلى تدارس، و ليس هم كمن حفظ علم غيره و احتذى على كلام من كان قبله."[3]

مواصفات الخطاب:

أمّا الصفة العامة للأسلوب الخطابي فهي القوة، و مصدرها الأوّل انفعال الخطيب و قوة عقيدته و يقينه بما يقول، ثمّ تظهر في عباراته المسجوعة أو المزدوجة و كلماته المؤثّرة الجزلة لتكون موسيقى قوية على تفاوت في ذلك. و ممّا يميّز الخطاب:

2- هارثمان و ستورك، معجم اللّغة و علم اللّغة، ص69

[2] - الجاحظ، البيان و التّبيين، 2/3، تح: عبد السلام هارون، ط 4، دار الفكر -بيروت 3\ 48

[3] - المصدر نفسه ص.46

1- التّكرار المعنوي: جائز في الخطابة لتثبيت الأفكار في الأذهان و تمكين السّامعين من الفهم و القوّة و التّأثير، و لكن لا بدّ من تغيير العبارات كما رأيت في المثال السّابق إذ الفكرة الواحدة وردت في جمل عدّة.

2- يختلف الأسلوب فيكون خبرا، و أمرا و نهيا و استفهاما و غيره حتّى لا يكون رتيبا مملاّ، ليمثّل الانفعالات اللاّزمة للخطابة.

3- و الخطابة فيها التّقرير لبيان الرّأي و دعمه بالبرهان، و فيها القصص و الوصف الموجزان يستعين بها الخطيب في الإقناع و التّأثير.

4- يجب أن تكون العبارة مع قوّتها، سهلة مفهومة للسّامعين، خالية من الإغراب أو التّعقيد حتّى يستطيع الجمهور متابعة الخطيب و مسايرته، إذ ليست فرصة للسّامعين سوى لحظات الاستماع، و لا يستطيعون إيقاف الخطيب ليفهموا عنه، و لا يملك هو سوى فرصة الإلقاء، فإنّ الخطابة فنّ شفوي، على أنّه إذا كُتب نقُص بهاؤه، و ربّما تغيّرت ظروفه المناسبة، فضاعت فائدته.

5- يستطيع الكاتب أن يبيّن بالتّرقيم و سواه كلّ قسم و موقف، و لكنّ الخطيب يستبدل بذلك النّبر الصّوتي على النّقط الهامّة، و العناية بالانتقال من نقطة إلى أخرى بالتّنبيه، و تغيير الأسلوب و لهجة الخطاب، و توكيد مواضع القصر، كلّ ذلك في جمل قصيرة و سهلة، خالية من الاعتراضات و تفرّق العناصر اللّفظية التي إذا جازت في الكتابة فلن تجوز في الخطابة.

6- السّامعون هم المقياس السّديد لمستوى اللّغة و درجتها، فقد يكونون من الخاصّة و بذلك يكون الأسلوب ساميا عاليا، و إذا كانوا من العامّة كان الأسلوب بسيطا سهلا، و إذا كان جمهورا عامّا غلّب الخطيب ناحية السّهولة ليضمن الفهم للجميع.[1]

أوجه الخطاب في القرآن:

قال ابن الجوزي في كتاب النّفيس: "الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجها، و قال غيره أنّه على أكثر من ثلاثين وجها.

[1] - انظر الأسلوب -دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية،

- أحدها: خطاب العام و المراد به العموم كقوله: " الله الذي خلقكم."

- الثّاني: خطاب الخاصّ و المراد به الخصوص كقوله جلّ شأنه: "أكفرتم بعد إيمانكم." و قوله تعالى: "**يا أيّها الرّسول.**"

- الثّالث: خطاب العام و المراد به الخصوص كقوله تعالى:" يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم."لم يدخل فيه الأطفال و المجانين – حسب الشّريعة الإسلامية-.

- الرّابع: خطاب الخاص و المراد به العموم كقوله جلّ جلاله: "**يا أيّها النبيّ** إذا طلّقتم النّساء." افتتح الخطاب بالنبيّ ﷺ و المراد سائر من يملك الطّلاق من المتزوّجين. و قوله تعالى: "يا أيّها النبيّ إنّا أحللنا لك أزواجك." الآية. قال أبو بكر الصّيرفي: "كان ابتداء الخطاب –في الآية– له، فلمّا قال في الموهوبة خالصة لك عُلِم أنّ ما قبله له و لغيره.

- الخامس: خطاب الجنس كقوله: " **يا أيّها النبيّ.**" أي للأنبياء خاصّة.

- السّابع: خطاب العين، نحوُ: "يا آدم اسكن."، "يا نوح اهبط."، "يا إبراهيم قد صدّقتَ."، "يا موسى لا تخف."، "يا عيسى إنّي مُتوفّيك."

- الثّامن: خطاب المدح نحو: "يا أيّها الذين آمنوا."، و لهذا وقع الخطاب بأهل المدينة الذين آمنوا و هاجروا.

- التّاسع: خطاب الذمّ نحو: "يا أيّها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم."، "قل يا أيّها الكافرون."، و لتضمُّنه الإهانة، لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين وكثُر الخطاب ب **يا أيّها** الذين أمنوا، على المواجهة، و في جانب الكفّار جيء بلفظ: "الغيبة" إعراضا عنهم كقوله تعالى: "قل للذين كفروا."

- العاشر: خطاب الكرامة كقوله جلّ شأنه: "**يا أيّها النبيّ.**"، "**يا أيّها الرّسول.**".

- الحادي عشر: و **في المقام الخاصّ**: "**يا أيّها النبيّ** لمَ تحرّم ما أحلّ الله لك." و قد يعبّر في **النبيّ** في مقام التّشريع العامّ، لكن مع قرينة إرادة العموم كقوله: "**يا أيّها النبيّ** إذا طلّقتم." و لم يقل: "طلّقتَ".

- الثّاني عشر: خطاب التّهكّم نحو: "ذُق إنّك أنت العزيز الكريم."

- الثّالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الواحد نحو: "يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم."

- الرّابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو: "**يا أيّها الرّسل** كلوا من الطيبات." إلى قوله: "فذرهم في غمرتهم."، فهو خطاب له وحده، إذ لا نبيّ معه و لا بعده، و كذا قوله: "و إن عاقبتم فعاقبوا." الآية خطاب له وحده بدليل قوله: "و اصبر و ما صبرك إلاّ بالله."، و كذا قوله: "فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا." بدليل قوله: "قل فائتوا." و جعل منهم بعضهم: "قال ربّ ارجعون." أي أرجعني.

- الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو: " ألقيا في جهنّم." و الخطاب لمالك خازن النّار، و قيل لخزنة النّار و الزّبانية، فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين.

- السّادس عشر: خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله: "فمن ربّكما يا موسى." أي وهارون.

- السّابع عشر: خطاب الاثنين بلفظ الجمع نحو: "أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا و اجعلوا بيوتكم قبلة.".

- الثّامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدّم في "ألقيا."

- التّاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد كقوله: "و ما تكون من شأن." و قوله: "ما تتلو من قرآن." و قوله: "لا تعملون من عمل."

- العشرون: عكسه نحو: "و أقيموا الصّلاة و بشّر المؤمنين."

- الحادي و العشرون: خطاب الاثنين بعد الواحد نحو: "أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا و تكون لكما الكبرياء في الأرض".

- الثّاني و العشرون: عكسه نحو: "من ربّكما يا موسى."

- الثّالث و العشرون: خطاب العين و المراد به الغير نحو: "**يا أيّها النبيّ** اتّق الله و لا تطع الكافرين." فالخطاب له و المراد أمّته لأنّه كان تقيا و حاشاه من طاعة الكفّار و منه: "فإن كنت في شكّ ممّا أُنزل إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب." و إنّما المراد بالخطاب التّعريض بالكفّار.

- الرّابع و العشرون: خطاب الغير و المراد به العين نحو: "لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم."

- الخامس و العشرون: الخطاب العام الذي لم يُقصد به مخاطب معيّن نحو: "و لو ترى إذ وُقفوا على النّار." و قوله: "ألم تر أنّ الله يسجد له." و كقوله: "و لو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم." و لم يُقصد بذلك خطاب معيّن بل كلّ واحد.

- السّادس و العشرون: خطاب الشّخص ثمّ العدول إلى غيره نحو: "فإن لم يستجيبوا لكم." خُوطب به النّبيّ ثمّ قال للكفّار فاعلموا أنّ ما أنزل بعلم الله.

- السّابع و العشرون: خطاب التّكوين وهو "الالتفات".

- الثّامن عشر: خطاب الجمادات كمن له عقل نحو: "فقال لها و للأرض ائتيا."

- التّاسع عشر: خطاب التّهييج نحو: "و على الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين."

- الثّلاثون: خطاب التّحنّن و الاستعطاف نحو: "قل يل عبادي الذين أسرفوا."

- الحادي و الثّلاثون: خطاب التحبّب نحو: "يا أبتِ لمَ تعبُد." و قوله: "يا بنيّ إنّها إن تكُ." و قوله: "يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي."

- الثّاني و الثّلاثون: خطاب التّعجيز نحو: "فأتوا بسورة."

- الثّالث و الثّلاثون: خطاب التّشريف و هو كلّ ما في القرآن مخاطبة، فإنّه تشريف منه تعالى لهذه الأمّة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة.

- الرّابع و الثّلاثون: خطاب المعدوم و يصحّ ذلك تبعا لوجود نحو: "يا بني آدم." فإنّه خطاب لأهل ذلك الزّمان و لك من بعدهم.

فائدة:

قال بعضهم: **خطاب القرآن ثلاثة أقسام: قسم لا يصلح إلاّ للنبيّ و قسم لا يصلح إلاّ لغيره** و قسم لهما.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و هناك أكثر من هذا من البلاغيات العربية العجيبة في هذا الكتاب، و كلّ هذه الأمور السّابقة واردة في كلام العرب و هي صعبة الفهم إلاّ على المتمرّسين في دراسة اللّغة العربية.

تعقيب:

و بعد أن رأينا هذه الوجوه الخطابية أو الأوجه التي ذكرها "ابن الجوزي" في كتابه: "**النّفيس**"، و قد أشرنا أنّه هناك من قال بأكثر من هذا، نأمل أن نكون قد أحطنا بأهمّ و أشهر تلك الأوجه في القرآن الكريم، و إنّما كان ذلك مهمّا في رأينا لأنّ الخطاب في حدّ ذاته حقيق بالدّراسة و خاصّة إن كان من الله إلى مخلوقاته، فلم نرد أن نهمله هنا.

ننتقل الآن إلى النّوع الآخر من أنواع الخطاب القرآني ألا و هو موضوع دراستنا.

الخطاب القرآني الموجّه إلى الرّسول ﷺ:

إنّ هذا الخطاب الإلهي تمثّل في صيغتين هما: "**يا أيّها الرّسول.**" و "**يا أيّها النبيّ.**" موزّعتين كما يلي:

- "**يا أيّها الرّسول**" مرّتان في سورة المائدة في: **الآية 41** و **الآية 67.**
- "يا أيّها النبيّ" **ثلاثة عشر** مرّة مبيّنة حسب الجدول في ورقة أخرى.

بعد إحصاء الآيات التي ذُكرت فيها الصّيغتان و هي خمسة عشر آية، تمكّنتُ من الوصول إلى خلاصة تخصّ نوعية الخطاب الربّاني للرّسول أو طبيعته حسب الموقف المرافق له، و هذه الطّبيعة تختلف من آية إلى أخرى، و هي كما يلي:

1- ففي الخطاب "**يا أيّها الرّسول**": مرّة (الآية 41) يقول له: "**لا يحزنك.**"

و مرّة (الآية 67) يقول له: "**بلِّغ**".

- ففي المرّة الأولى: الخطاب خطاب مواساة و تسرية، و أنّه ليس مسؤولا عن كفر الكافرين أو نفاق المنافقين، فكيف يحزن لنفاقهم و قلوبُهم ملك لله و هو أعلم بهم؟! فلا ينبغي له أن يحزن بسبب مسارعتهم في الكفر من هؤلاء الذي قالت أفواههم عكس ما في قلوبهم، و من الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوه، يحرّفون الكلم من بعد مواضعه

(و في هذا قصّة وردت في أسباب النّزول مذكورة في الكتب) لأنّ من يردِ الله فِتنتَه فلن يملك له النبيّ شيئا، فلا يتحمّل أيّ ذنب في كونهم كذلك.

- أمّا في المرّة الثّانية: فهو خطاب تبليغ و خطاب أمرٍ لا يحتمل الانتظار أو التّأخير لأيّ سبب من الأسباب، فإن كان ما يخيفك هو كيد الكائدين فإنّ ربّك معك سيعصمك و يدافع عنك، فعليك بالتّوكّل التامّ على الله.

2- و في الصّيغة الثّانية: "**يا أيّها النبيّ**" تتباين السياقات حسب المواقف، فتصطبغ معها الألفاظ بالمعاني المناسبة للمطلب و الموقف الذي ينادي و يخاطب به الله تعالى نبيه و هي في رأينا كما يأتي:

* الآية 64 من سورة الأنفال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾

نوع الخطاب: خطاب تدعيم و تقوية و تقوية، تدعيم نفسي و رفع لمعنويات النبيّ، "يكفيك يا محمّد الله و من اتّبعك من المؤمنين." فـــ: "من اتّبعك من المؤمنين" معطوف على "الله"، و هو فاعل لاسم الفعل "حسبك" أو "خبر" لمبتدأ محذوف تقديره: "هو الله" بعد "حسبك" و هو على رأي آخر.

* الآية 65 من سورة الأنفال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾

نوع الخطاب: خطاب أمر (حرّض)، خطاب تحفيز و تشجيع ثمّ تأييد ربّاني في القتال.

* الآية 70 من سورة الأنفال: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾

نوع الخطاب: خطاب تبيين و توضيح و إبلاغ للأسرى برسالة معيّنة.

* الآية 73 من سورة التّوبة: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

نوع الخطاب: "جاهد" فعل أمر من المجاهدة أي المقاومة و المصابرة على أذاهم و عدم الاستسلام، فعليه بردّ فعل. فالخطاب هنا خطاب تحفيز على الجهاد و عدم الرّكون و الاستسلام.

* الآية الأولى من سورة الأحزاب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ **نوع الخطاب:** و قد أسهب المفسّرون في هذه الآية، و قيل إنّه ﷺ أهل

للتّقوى و حاشاه أن يكون بعيدا عنها، و إنّما هو من باب الذّكرى و من باب التّعريض بالكفّار و المنافقين.

* الآية 28 من سورة الأحزاب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

نوع الخطاب: "قُل" هو خطاب أمر بتبليغ رسالة إلى أزواجه، فالرّسول ﷺ هو الواسطة و هو قناة الاتّصال بين الحقّ تعالى و بين زوجات الرّسول ﷺ، وفي هذا قصّة ذكرتْها كتب أسباب النّزول.

* الآية 45 من سورة الأحزاب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

نوع الخطاب: إنه خطاب تقريريّ إخباريّ: يُخبر فيه الله تعالى نبيّه بأنّه أرسله ليشهد و يبشّر و يُنذر، و يقرّر هذه الحقيقة...

* الآية 50 من سورة الأحزاب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ...﴿٥٠﴾

نوع الخطاب: خطاب توضيحيّ لما يَحلّ برسول الله ﷺ من النّساء.

* الآية 59 من سورة الأحزاب: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩

نوع الخطاب: خطاب تشريعي و أمر بالتّبليغ يخصّ لباس النّساء المؤمنات منهنّ زوجات الرّسول ﷺ و بناته و نساء المؤمنين. أمرهنّ ربّهنّ بإدناء الجلابيب أي إسدالها و إطالتها تحاشيا لتحرّشات مرضى النّفوس من اليهود و المشركين و المنافقين، و هو أستر لهنّ و أحفظ لعرضهنّ و أسلم لعفّتهنّ، أليس الله قد أنزل علينا لباسا يواري سوءاتنا و ريشا؟!.

* الآية 12 من سورة الممتحنة: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢

نوع الخطاب: أرى أنّ هذا الخطاب خطاب توجيهيّ بشروط، فهو، أي الله، ينبّه رسوله الكريم إلى أمر مهمّ ألا و هو مبايعة المؤمنات و أخذ العهد منهنّ؛ عهد الإيمان و عقد الاستسلام لأمر الله، و هو عهد غليظ و ميثاق متين، فإذا استوفت هؤلاء النّساء بشروط يذكرها الله له، فما عليه إلاّ مبايعتهنّ و إعطائهنّ الموافقة على مواثيقهنّ.

* الآية الأولى من سورة الطّلاق: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١

نوع الخطاب: خطاب تشريعيّ آخر يبيّن الله فيه لنبيّه أحكام الطّلاق و ذلك ليكون عام اللّفظ لكافّة المسلمين في كلّ زمان و مكان.

* الآية الأولى من سورة التّحريم: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١

نوع الخطاب: لقد مرّت بنا أسباب نزول هذه الآية و كيف تباينت الأقوال في ذلك: فمنهم من قال أنّ سبب النّزول كان في زوجه مارية القبطية أمّ إبراهيم، و منهم من قال إنّها نزلت في نوع معيّن من الطّعام يُدعى "مغافير" كان قد أكله عند إحدى زوجاته ثمّ حرّمه على نفسه

و لكنّ بيت القصيد في هذه الآية أنّ هناك من قال – و هو موضوع دراستنا- أنّ هذا عتابا و لوما لشخص الرّسول ﷺ، فالسّؤال " لِمَ " يعني أنّه يعاتبه و يأخذ عليه ما صنعه من تحريم حلال من أجل مرضاة زوجاته.

و لقد شغلت هذه الآية مساحة أكبر من الآيات الأخرى فيما يخصّ التّفسير و التأويل و أسباب النّزول، و منها جاءت شبهة اللّوم و العتاب.

* الآية التّاسعة من سورة التّحريم: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

نوع الخطاب: يأمر الله تعالى نبيّه بالمجاهدة و الغلظة على الكفّار و المنافقين لأنّهم جاهروا بمعصيتهم و **لا يُرجى** منهم أيّ أمل في الإنابة، فما دام الله قد وعدهم بجهنّم فرسوله أولى بنبذهم، و الله أعلم.

طبيعة الخطاب القرآني و خصائصه:

"... فالنصّ القرآنيّ بحكم طابعه الإلهيّ يتأبّى إلى حدّ كبير عن أن يُضاءَ بعُدّة إجرائية وضعية، فهو (منزول)، تنتظمه هيئة خطابية امتازت بتساوق استثنائيّ بين النّظمية و الأدائية.

فالبناء التّبليغيّ مصكوك بمقوّمات خطابية تواصلية تسرد و تحاور و تستلهم و تعارض و تتحاورُ و تدقّق و تُصغي و تعقّب. و بذلك امتلك الخطاب القرآنيّ مواصفات الطّرفية الحية

التي تجعل منه مرجعية حدّية تتفاعل معها العقول و العواطف مفاعلة تظلّ تتجدّد بتجدُّد أسباب الاستيعاب[1]".

فالخطاب القرآنيّ يُعدّ سُلطة فنية من حيث تساميه الأدبيّ المباين للمألوف من الأجناس الأدبية العربية، و هو سُلطة روحية أيضا بتصدّيه تقريرا و جدلا لتخرّجاتهم الاعتقادية و المعرفية الشّركية، و احتوائه المجال الفكريّ و الرّوحيّ الذي تصدر عنه ذهنية الكفر، و هذا باعتماده معطى الإيمان بالتّوحيد و بالغيب واقعا فكريا ماثلا للحسّ، ممازجا لوجدان، مؤسّسا ليقينية الاستمرار و البقاء التي تحقّقها مسلّمة البعث الأخرويّ كما رسّخها القرآن.♦

تعقيب:

و رغم أنّ هذا الكتاب قد استعمل مصطلحات حديثة و خاصّة و غير معهودة في كلام اللّغويين عموما، إلاّ أنّه حلّل مفهوم الخطاب بطريقته و حسب فهمه، و أحسبه قد أوصل رسالة واضحة في هذا الموضوع. و يضيف قائلا:

"و لهذا، فقد تنزّل الخطاب القرآنيّ من المتلقّي منزلة حضورية فاعلة، و ذلك لأنّه خصّ المتلقّي بعناية بعيدة عن روح الاستدراج و اغتصاب القناعة.. لقد واجهتْ الآيات روح المتلقّي و عقله و ضميره، و خاطبتْه من نقطة قريبة من مداركه و حملته إلى عقيدتها التّوحيدية بتوظيف المقول الفكريّ و الشّعوريّ الذي لا يمكن للعقل أن يغمز في جوهريته، فالدّعوة القرآنية لا تخاتِل في تقديم الحوار الفكريّ في الرّهان على منطقيتها، وتؤهّل مقولها بأسباب الإقناع.[2]

و لقد أضفى الكاتب جوّا حداثيا على دلالة الخطاب القرآنيّ، و أعطاه مساحاتٍ جديدة، رأينا أنّه من الممتع و المفيد معا أن نسبح معه فيها.

---

[1] سليمان عشراتي، **الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر**، ص 50.

♦ – سليمان عشراتي، **الخطاب القرآنيّ، مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازيّ**، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون –الجزائر ، ص 5.

[2] – المرجع السّابق.

على أنّ الأهمّ في هذا كلّه هو أنّ الفضاء الجماليّ الذي مثّله الخطاب القرآنيّ في بيئة الشّعر و الدّراية القولية المتقنة .. كانت له الخاصية الاكتفائية التي وجدناها راسخة عند المسلمين الأوائل من حيث استغراقهم إلى حين، في استكناه جمالية الخطاب القرآنيّ.

فالتّثمير الجماليّ و الغنيّ عند المسلمين ظلّ في حيّز كبير منه مصروفا ضمن نطاق جمالية الخطاب القرآني و داخلها. لقد استوعبت المؤلّفات القرآنية (التّفاسير و شرح المتون مثلا) جهدا تواجديا كان في أساسه نشاطا جماليا و روحيا يستنفذه المسلم و تتأثّله القريحة في إطار جمالية قد أقرّ لها النصّ و الزّمن بمنزلة السّقفية التي أهّلتها لأن تكون مادّة التّشرّب و الإلهام عبر القرون.[1]

و يواصل الكاتب تحليله العميق لمفهوم الخطاب القرآنيّ لينتقل بنا إلى تقرير نتيجة هامّة توصّل بها إلى حقيقة الرّسالة الربّانية على هذه الأرض، حيث يقول: "...بل إنّ التّأسيس الحضاريّ الوجوديّ للعرب ذاته قد ارتبط بالخطاب القرآنيّ بوصفه رسالة تبليغية لا تتحيّز بصقع محدّد و لا تختصّ بأمّة بعينها، فهو خطاب مهيّأ للتّوصيل، مجاليته العالمية أينما امتدّت أقطارها.

فالخطاب القرآنيّ كينونة قد تمثّل على أنّها المصدر العلويّ عينه الذي يباشر ضمير المتلقّي برسالة متكاملة لا تُغفِل منزعا من منازع الحياة و الوجود تحريرا للفرد و الجماعة من نير الأسطورة و اللاّمعقول الخرافيّ، و ربطا للنّفوس بالخالق و بعوالم الغيب المسوّغة بآمالها لتجربة هذا الوجود الأرضيّ."

[1] - المرجع السّابق، ص 6، 8.

إنّنا نرى بوضوح كيف فلسف الكاتب الخطاب القرآنيّ و ربطه بعوالم أخرى تنمّ عن شخصية ذكية متشبّعة من روح الأصالة من جهة، و من روح العصر من جهة أخرى. و لقد توسّع كثيرا في طرح جزئيات فكرته ممّا لا يتّسع له المجال للّمس من خلالها حسّا رياضيا و منطقيا يتّسم به أسلوب هذا الكاتب.

و عن أثر الخطاب القرآنيّ عامّة و فنيا خاصّة يقول: "...لقد تجذّر الأثر الفنيّ للخطاب القرآنيّ على صعيد التّراث بفرادةِ نموذجه البيانيّ و استقطب الأنظمة الخطابية بنفاذ جماليته و لاحقها، و أثّل لها قيمتها البلاغية، فغدا من ثمّة هوية جمالية فاق تأثيرها الرّوحيّ و الجماليّ عند العرب المسلمين في أزمنة الاستواء اللّغويّ، تلك الآثار الحسية التي تتميّز بها رمزية (الأيقون) كما تجسّده القريحة الإنجيلية.[1]

و الخطاب القرآنيّ في رأي الكاتب حضور جماليّ و مرجعية روحية تنفّذت في الوجدان الإسلاميّ و اكتسبت كينونة تجاوزت إطار الأثرية أو المقولية الإلهية.[2] و عن الناحية النّظمية البلاغية لأسلوب القرآن يتحدّث كاتبنا فيقول: "...فالصياغة القرآنية هي نظم أدبيّ صارم لا يمكن أن يتفكّك أو يتحلّل إلاّ على حساب خاصيته الأدبية، و لا بدّ على كلّ مقاربة للخطاب القرآنيّ أن تبتعد عن الغاية التّنويهية الاستعراضية، القائمة على أحكام أعلائية سبقية، لا لكون تلك الأحكام هي من مقرّرات الرّسالة القرآنية نفسها، بل لأنّ المجانسة الأسلوبية و الخطابية بين القرآن و الأنماط الأدبية العرفية المعروفة، هي مجانسة لغوية و سننية، لا مجانسة نمطية أو شكلية معيّنة. من هنا وجب على البحث الخطابيّ القرآنيّ أن يتحسّس مواصفاته الأدائية و البيانية ضمن دائرة فقه خطابية مخصوصة، هي دائرة الإعجاز البلاغيّ.[3]

و عن خصائص الخطاب القرآنيّ التي تلازمه حتّى في مقام التّشريعات الثّابتة التي لا تقبل إرجاءَ أو مماطلة، يظهر لنا رأي كاتبنا في تحليله إذ يقول: "...فالجمالية الأدبية راجحة في البنية القرآنية بصورة ثابتة و مستمرّة و أساسية في كلّ تمظهرات الخطاب النّفسية و الاجتماعية و الغيبية، و في تنويعاته السّردية و الإفضائية دون أن تطغى المقصدية النّثرية

---

[1] – المرجع السّابق.

[2] – المرجع نفسه، ص 8.

[3] – المرجع نفسه، ص 9.

الخطابية أو المضمونية على هذا الخطاب، حتّى في المجالات ذات الطّابع الموقفيّ المباشر (التّشريع).[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] – المرجع نفسه، ص 12.

الفصـــــــل الأوّل:
خطاب القرآن الكريم للرّسول ﷺ بصيغة "يا أيّها الرّسول".

المبحـــــــث الأوّل:
محمّـــد ﷺ في القـــرآن الكريـــم

1-1- الرّسالة.
1-2- تعريف كلمة "رسول" لغة و اصطلاحا.
1-3- ما الفرق بين الرّسول و النبيّ؟
1-4- محمّد ﷺ من خلال القرآن الكريم.
1-5- مخاطبة الله إياه (الآيات).

المبحـــــــث الثّاني:
متى يُخاطـب الرّسول ﷺ بـ: "يا أيّـها الرّسـول"؟

2-1- النّداء في القرآن الكريم.
2-2- حرف النّداء "يا".
2-3- النّداء على الرّسول ﷺ في القرآن الكريم.
2-4- جدول إحصائي خاص بالصّيغتين.

المبحـــــــث الثّالث:
أسـرار صيغـة: "يا أيّـها الرّسـول"؟

3-1- القرآن الكريم (مكّي – مدني).
3-2- أسباب النّزول.
3-3- قصص الأنبياء و وحدة الرّسالة.
3-4- التّفضيل بين الرّسل و مكانة محمّد ﷺ .

المبحـــــــث الرّابع:
صيـغ أخرى غيـر الخطاب لـورود كلمـة "رسـول".

4-1- آيات مشتملة على لفظة "رسول" غير مقترنة باسم محمّد.
4-2- آيات مشتملة على لفظة "رسول" مقترنة باسم محمّد.
4-3- الآية التي اشتملت على اسم محمّد منفردا.

خاتمـــــة الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2.1 تعريف كلمة "رسول" لغة و اصطلاحا:

جاء في لسان العرب[1] ما يلي: قال: و الترسُّل من الرّسل في الأمور و المنطق كالتمهّل و التوقّر و التثبّت، و جمع رسالة الرّسائل. قال ابن جني: التّرسّل في الكلام التوقّر و التفهّم و الترفّق من غير أن يرفع صوته شديدا. و الترسّل في الرّكوب: أن يبسط رجليه على الدابّة حتّى يرخي ثيابه على رجليه حتّى يغشيهما. قال: و الترسّل في القعود أن يتربّع و يرخي ثيابه على رجليه حوله، و الإرسال: التّوجيه، و قد أُرسل إليه، والاسم الرّسالة، و الرّسالة و الرّسول و الرّسيل، و أنشد:

لقد كذّب الواشون ما بُحتُ عندهم * * * بليلي و لا أرسلتهم برسيل

و الرّسول: بمعنى الرّسالة، يؤنّث و يذكّر، فمن أنّث جمعه أرسُلاً. قال الشّاعر: "قد أنتْها أرسُلي." و يُقال: هي رسولك، و تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض، و الرّسول: الرّسالة و المرسل. و أنشد الجوهري في الرّسول و الرّسالة للأسعر الجعفي:

ألا أبلِغ أبا عمرو رسولا * * * بأنّي عن فتاحتكم غنيّ. أي عن حكمكم.

و مثله العباس بن مرداس:

ألا من مبلّغ عنّي خفافا * * * رسولا بيت أهلك منتهاها.

فأنت الرّسول حيث كان بمعنى الرّسالة. و منه قول كثيّر:

لقد كذّب الواشون ما بحت عندهم * * * بسرّ و لا أرسلتهم برسول.

و في التّنزيل العزيز: "**إنّا رسول ربّ العالمين.**" و لم يقل: رُسُل لأنّ فعولا و فعيلا يستوي فيهما المذكّر و المؤنّث و الواحد و الجمع مثل: عدوّ و صديق. و قول أبي ذؤيب:

أَلِكني إليها، و خير الرّسو * * * ل أعلمهم بنواحي الخبر.

[1] ابن منظور، لسان العرب، بيروت، 1988، ص 913.

أراد بالرّسول الرّسل، فوضع الواحد موضع الجمع كقولهم كثر الدّينار و الدّرهم، لا يريدون به الدّينار بعينه، إنّما يريدون و الدّراهم، و الجمع أرسُل و رسُل و رسْل و رسلاء، الأخيرة عن ابن الأعرابي.[1]

قال الرّاغب الإصفهاني: أصل الرّسل الانبعاث على التّؤدة ... و تصوّر منه تارة الرّفق فقيل: على رسلك، إذا أمرته بالرّفق، و تارة الانبعاث فاشتُقّ منه "الرّسول"

قال الجرجاني: الرّسول: إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام، و الرّسول في الفقه: و هو الذي أمره المُرسِل بأداء الرّسالة بالتّسليم أو القبض.

قال ابن منظور الإفريقي (و قد تقدّم ذكره): الإرسال: التّوجيه، و قد أرسل إليه، و الاسم: الرّسالة و الرّسول و الرّسيل.

فإذا بعثتَ شخصا في مهمّة فهو رسولك، و منه قول ملكة سبأ:وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ [النّمل:35].

قال قتادة: قالت: إنّي باعثة إليهم بهدية ...

تعريف" رسول" اصطلاحا:

عليه سُمّي من بلّغوا عن الله "رُسُل الله" لأنّهم موجّهون و مبعوثون من قِبل الله تعالى مكلّفون بحمل الرّسالة و تبليغها و متابعتها. قال تعالى: ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ [يونس: 75].

قال البيضاوي: ثمّ بعثنا: أي أرسلنا.

3.1 ما الفرق بين الرّسول و النبيّ ؟ :

[1] – اسان العرب – ابن منظور – نسخة من الإنترنت. الكتاب لسان العرب. المؤلّف: محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. النّاشر: دار صادر – بيروت – ط 1، عدد الأجزاء 15. آخر تبديل لهذه الصفحة كان في43 :12 ديسمبر2006 مادة رسل

السّؤال إشارة إلى سورة الأحزاب الآية 40. قال تعالى: مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ فما هو الفرق بين الرّسول و النبيّ؟ لماذا قال رسول و لم يقل الرّسول الأخير؟

الجواب: الحمد لله و بعد: الفرق المشهور بين النبيّ و الرّسول أنّ الرّسول من أُوحي إليه بشرع و أمر بتبليغه، و النبيّ من أُوحي إليه بشرع و لم يُؤمر بتبليغه، و لكن هذا الفرق لا يسلم من إشكال، فإنّ النبيّ مأمور بالدّعوة و التّبليغ و الحكم، و لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الصّواب أنّ الرّسول هو من أُرسِل إلى قوم كفّار مكذّبين، و النبيّ من أُرسل إلى قوم مؤمنين بشريعة قبله يعلّمهم و يحكم بينهم كما قال تعالى: "إنّا أرسلنا التّوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذي أسلموا."

فأنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتّوراة التي أُنزل الله على موسى، و أمّا قوله تعالى: "و خاتم النبيين" و لم يقل خاتم المرسلين، فلأنّ ختم الرّسالة لا يستلزم ختم النبوّة، و أمّا ختم النبوّة فيستلزم ختم الرّسالة، و لهذا قال عليه الصّلاة و السّلام: "لا نبيّ بعدي."، و لم يقل: لا رسول بعدي. فعُلم أنّ لا رسول بعده و لا نبيّ بل هو خاتم النبيين و المرسلين عليهم الصّلاة و السّلام.[1]

4.1 محمّد ﷺ من خلال القرآن الكريم:

1- أدب المؤمنين معه. 2- أزواجه و بناته . 3- إسراؤه و معراجه.

4- أقوال الكافرين فيه. 5- بعثته. 6- التأسّي به .

7- تأييد رسالته. 8- تزكية أمّته و صحابته. 9- تسليته و تثبيته.

10- تنزيهه عن الشّعر. 11- جزاء من يشاقق الرّسول. 12- خفض جناحه للمؤمنين.

13- شخصيته. 14- شهادته هو و أمّته على النّاس.

15- صدقه و استحالة تقوّله على الله. 16- صفاته في التّوراة و الإنجيل.

17- طبيعة رسالته . 18- عصمته و حمايته. 19- مآثره و خصائصه.

[1]- فضيلة الشّيخ عبد الرّحمان بن ناصر البراك، من الإنترنت بموقع: الرّسول و النبيّ،دون تاريخ.

20- مخاطبة الله إياه. 21- معاتبة الله إياه. 22- معرفة أهل الكتاب إياه.

23- هجرته و منزلة المهاجرين. 24- الوحي. 25- وعد الله إياه.

26- أخلاقه و صفاته و فضل الله عليه.

و قد ركزت على عنصر مخاطبة الله إياه دون العناصر الأخرى باعتباره موضوع بحثي.

5.1 مخاطبة الله إياه (الآيات):

1- سورة آل عمران:

الآية 31:	قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾
الآية 32:	قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾

2- سورة النّساء:

الآية 65:	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾
الآية 80:	مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾
الآية 113:	وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

3- سورة المائدة:

الآية 41:	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ ۛ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ...وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾
الآية 49:	وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ ۖ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ ۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾
الآية 67:	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

4- سورة الأنعام:

الآية 33:	قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾
الآية 35:	وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ ۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾
الآية 107:	وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿١٠٧﴾

5- سورة الأعراف:

الآية 02:	كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
الآية 188:	قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

6- سورة التّوبة:

الآية 43:	عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾

7- سورة يونس:

الآية 65:	وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

8- سورة هود:

الآية 12:	فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

9- سورة يوسف:

الآية 103:	وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
الآية 104:	وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

10- سورة الرّعد:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية 30:	كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
الآية 32:	وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾
الآية 40:	وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

11- سورة الحجر:

الآية 3:	ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
الآية 6:	وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾
الآية 8:	مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾
الآية 88:	لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾
الآية 94:	فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾
الآية 95:	إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾
الآية 97:	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾

12- سورة النحل:

الآية 37:	إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
الآية 125:	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
الآية 128:	إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

13- سورة الإسراء:

الآية 54:	رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡ ۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾
الآية 73:	وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾
الآية 76:	وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا ۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾
الآية 86:	وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾
الآية 87:	إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾

14- سورة الكهف:

الآية 6:	فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾
الآية 28:	وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

15- سورة طه:

الآية 1-2:	طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾
الآية 3:	تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾
الآية 114:	فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾
الآية 130:	فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾
الآية 131:	وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

16- سورة الأنبياء:

الآية 36:	وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾
الآية 41:	وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾
الآية 46:	وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾
الآية 107:	وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ

17- سورة الحج:

الآية 42:	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾

18- سورة المؤمنون:

الآية 93:	قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
الآية 97:	وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾
الآية 98:	وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾

19- سورة النّور:

الآية 54:	قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾

20- سورة الفرقان:

الآية 10:	تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾
الآية 31:	وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾
الآية 33:	وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾

الآية 43:	أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾
الآية 44:	أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾
الآية 51:	وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾
الآية 52:	فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

21- سورة الشّعراء:

الآية 1:	طسٓمٓ ﴿١﴾
الآية 3:	لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
الآية 4:	إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾
الآية 213:	فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾
الآية 215:	وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾
الآية 216:	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
الآية 217:	وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾
الآية 218:	ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
الآية 219:	وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾

22- سورة النمل:

الآية 6:	وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾
الآية 70:	وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

23- سورة القصص:

الآية 44:	وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾
الآية 47:	وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
الآية 56:	إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
الآية 86:	وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾
الآية 88:	وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

24- سورة العنكبوت:

الآية 28:	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾

25- سورة السّجدة:

الآية 3:	أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

26- سورة الأحزاب:

الآية 1:	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾
الآية 3:	وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾
الآية 45:	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
الآية 48:	وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

27- سورة سبأ:

الآية 28:	وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
الآية 46:	قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
الآية 47:	قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾
الآية 48:	قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾
الآية 49:	قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾
الآية 50:	قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾
الآية 51:	وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾

28- سورة فاطر:

الآية 4:	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾
الآية 23:	إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾
الآية 24:	إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
الآية 25:	وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

29- سورة يس:

الآية 1:	يسٓ ﴿١﴾
الآية 3:	إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾
الآية 6:	لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾
الآية 76:	فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

30- سورة الصافّات:

الآية 35:	إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾
الآية 39:	وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾
الآية 174:	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾
الآية 179:	وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

31- سورة ص:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية 17:	ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾
الآية 76:	قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾

و أضفتُ آيات تبدأ بفعل الأمر: "قُل".

الآية 65:	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿٦٥﴾
الآية 67:	قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾
الآية 86:	قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

32- سورة الزّمر:

الآية 14:	قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾

إضافة شخصية: آيات تبدأ بفعل الأمر: "قل".

الآية 10:	قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾
الآية 11:	قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾
الآية 13:	قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾
الآية 14:	قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾
وسط الآية 15	فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾
الآية 19:	أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

ملاحظة: و توجد آيات كثيرة أخرى فيها صيغة الخطاب تلميحا مثل:

الآية 38:	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...
	قُلْ أَفَرَءَيْتُم...
	قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ...
الآية 39:	قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
الآية 41:	إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ... وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

و من خلال هذا، يتضح لنا جليا أنّ **مدار القرآن يكاد يكون جلّه حوارا ما بين الله و رسوله الكريم**، إمّا تصريحا أو تلميحا، و ذلك إمّا باستعمال فعل **الأمر** "**قُل**" أو تاء المخاطبة المتّصلة و المنفصلة أو **كاف الخطاب** أو **ضميره**، إفرادا و جمعا، أو أفعال أمر أخرى مثل: اصدعْ، قُم، طهّر، كبّر، أنذِرْ، استقِمْ... و ما أكثرها في القرآن. أو أفعال النّهي مثل: لا تحزنْ، لا تقُمْ، لاتُصلِّ، لا تقُلْ، لا تكُنْ، الخ... ممّا لم يحصل مع أيّ نبيّ أو رسول آخر إلاّ نادرا، كما قال لموسى عليه السّلام مع النّار: "لا تخفْ" (أقبِل و لا تخف) – (أدخِلْ يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء)، مع أنّه كان كليم الله و قريبه.

و مع نوح عليه السّلام: "أنذِرْ" و غير ذلك من أفعال الأمر، ثمّ يردّ نوح على ربّه بأدب و مع إبراهيم عليه السّلام في: (إنّي أمرك أن تذبح ابنك إسماعيل. في معنى الآية الكريمة)، فيردّ عليه إبراهيم عليه السّلام في أدب أنّه سيجده ربّه عند حسن ظنّه و لن يعصيه في أمر مهما بدا له غريبا عجيبا، حتّى و لو أن يكون فداء فلذة كبده على عينه و بيده.

و مع آدم عليه السّلام: "يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنّة و كُلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشّجرة."

و هكذا، فنحن نرى جليا أنّ **الخطاب يكاد يكون عمود القرآن و عماده و محوره و مناطه و مداره، و كأنّه وسيلة إيصال الرّسالة الربّانية التّشريعية و العقدية الخالدة من الله إلى عباده**، و ذلك عبر الرّسل و الأنبياء صلاة الله و سلامه عليهم، و لكنّ الخطاب الربّانيّ الذي خصّ به الله نبيّه و رسوله محمّد ﷺ خطاب له **أبعاد خاصّة** مميّزة تتبيّن لنا من خلال تراوح

النصّ الخطابيّ بين صيغتي الخطاب المقصودة بدراستنا ألا و هي: **"يا أيّها النبيّ"** و **"يا أيّها الرّسول"**، و لكلّ مقام مقال كما يُقال، فلو يُستغنى عن صيغة دون الأخرى لكان الأولى استعمال صيغة واحدة في كلّ الخطابات.

فكأنّ المخاطبة الربّانية مُناجاة باتتْ ضرورية و حبل متين من خلاله تمرّ الرّسالة التّشريعية و العقدية و التّعبّدية الخالدة.

33- سورة غافر:

الآية 77:	فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾

34- سورة فصلت:

الآية 6:	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾
الآية 43:	مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾

35- سورة الشورى:

الآية 52:	وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾

36- سورة الزخرف:

الآية 83:	فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾
الآية 88:	وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

الآية 89:	فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾

ملاحظة: أمّا برأيي فالآية رقم 87 هي الأصحّ في المخاطبة بدلا من الآية 88.

الآية 87:	وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾

37- سورة الأحقاف: في هذه السّورة الآية 4 تبدأ بفعل الأمر: "قُل"

الآية 4:	قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾
الآية 9:	قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾
الآية 35:	فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

38- سورة الذاريات:

الآية 54:	فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾
الآية 55:	وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾

39- سورة الطور:

الآية 31:	قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾
الآية 48:	وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
الآية 49:	وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

40- سورة القمر:

الآية 2:	وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾
الآية 6:	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

41- سورة الممتحنة:

الآية 12:	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

42- سورة القلم:

الآية 1:	نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

و لكنّ السّورة كلّها تكاد تكون خطابا مباشرا للنبيّ ﷺ و حوارا متراوحا بين التّسرية و الطّمأنة و التّثبيت: الآيات: 2-3-4-5-6-7-8-9.

الآية 48:	فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾
الآية 51:	وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾

43- سورة الضحى:

الآية 1-3:	وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
الآية 11:	وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

44- سورة الشّرح:

الآية 1:	أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾
الآية 2:	وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الآية 8:	وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

تعليق :

... وبعد كلّ هذا الاستقراء و التقصّي الذي نسجناه من مجموعة آيات الذّكر الحكيم، و أشير بالذّكر أنّني لم أتقصّ كلّ الآيات التي ذُكر فيها الخطاب تصريحا و تلميحا، و إنّما تصدّيتُ لجلّها لأنّها تكاد تكون كلّ القرآن.

و نستنتج بعد كلّ هذا أنّ القرآن كلّه يكاد يكون مجالا واسعا و مساحة مفتوحة للحوار الربّانيّ الرّسالي، حوار متبادل و اتّصال مباشر يأخذ كافّة الوسائل اللّغوية سبيلا لإبلاغ رسالة معيّنة، كما نلاحظ أنّ كلّ فعل أمر هو خطاب إلهي له و يكاد القرآن كلّه أو جلّه يكون أفعال أمر، إمّا تصريحا أو تلميحا.

كما يوجد فعل الأمر الموجّه إلى المخاطَبين حيث الرّسول ﷺ داخل فيهم، و كلّ آية تبدأ بفعل أمر "قل" هي في رأيي خطاب ربّانيّ موجّه إلى محمّد ﷺ، و من السور التي تمتلئ بهذه الصّيغة: سورة الملك المباركة، حيث تكرّر هذا الفعل كثيرا خاصّة في أواخر السّورة ...خطابا مباشرا.

المبحث الثاني: متى يخاطب الرّسول ﷺ بـــ: "يا أيها الرّسول" ؟

إنّ المتقصّي لآيات الذّكر الحكيم المتعمّق فيها يجد أو يصل إلى الملاحظة الآتية:

– تجرّدت لفظة "**الرّسول**" في كثير من المواضع من الاقتران بلفظة "**محمّد**" و اكتفى الله سبحانه و تعالى بذكرها معرّفة بالألف و اللاّم.

– مثال: كما في خواتيم سورة البقرة: "آمن **الرّسول** بما أُنزل إليه من ربّه و المؤمنون." إلى آخر الآية.

– مثال آخر: "و ما أتاكم **الرّسول** فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا."

فمن هنا نستنتج أنّ هذا الاستعمال من ورائه تشريف و رفع لمكانته ﷺ عند ربّه من جهة و بين الأنبياء من جهة أخرى.

كما و إنّه يدلّ على أنّ رسالته رسالة شاملة لكلّ ما كان قبلها من رسالات، فلا نحتاج لأن يُذكر اسمه حتّى نتعرّف إليه، فهو المقصود بعينه لا نبيّ آخر، و كما نعلم سلفا أنّ الرّسالة أشمل من النبوّة، و هي تحتويها و ليس العكس، فإنّ رسالة محمّد ﷺ بعينها أشمل من أيّة رسالة أخرى لأنّها احتوت كلّ ما كان قبلها و زادت عليه في التّشريعات و أقرّت و أسّست و كان لها من الفضل أن كانت خاتمة الرّسالات للعالمين كافّة.

و لعلّ ممّا يدعّم شهادة كهذه ما جاء في السنّة النّبوية المطهّرة من أحاديث جمّة توحي كلّها في مضمونها بخاتمية الرّسالة المحمّدية من جهة، و بعالميتها من جهة أخرى. و نأخذ على سبيل المثال لا الحصر هذا الحديث. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ، عام غزوة تبوك، قام من اللّيل يصلّي، فاجتمع رجال من أصحابه ليحرسونه حتّى صلّى و انصرف إليهم، فقال لهم: "لقد أُعطيتُ اللّيلة خمسا ما أُعطيهنّ أحد قبلي: أمّا أنا فأُرسلتُ إلى النّاس كلّهم عامّة، و كان من قبلي إنّما يُرسل إلى قومه..." و للحديث تتمّة.[1] أو كما قال ﷺ و لكنّي رأيتُ بأن أكتفي بهذه العبارة لأنّها التي تعنيني في خدمة بحثي.

2.1 النّداء في القرآن الكريم:

[1] – أخرجه أحمد بسند صحيح، و انظر "الإرواء" (317/1).

- جاء النّداء في القرآن الكريم " يا أيّها " بعدد 143 مرّة.

- و جاء النّداء من اله تعالى على عشر (10) منادى عليه.

- جاء النّداء من (8 غير الله) بعدد 9 مرّات.

- مجموع المنادى عليه في القرآن الكريم (19) منادى مقسّمة بين الله و عباده بنسبة 10: و هما عددا الرقم 19. و كان أوّلهم النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على: " النّاس ب " يا أيّها النّاس 19 مرّة.

- و كان النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على " محمّد " ﷺ مباشرة بعدد حروف اسمه (4) و عدد مرّات تكرار اسمه محمّد في القرآن (4): ناداه سبحانه و تعالى بقوله: " **يا أيّها الرّسول**".

يكون النّداء لطلب إقبال المدعو ليصغي إلى أمر ذي بال، و لذلك يغلُب عليه أو يليه أمر أو نهي كقوله تعالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ [المزمل 1-2]، يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ [المائدة 87]، و قد يتقدّم الأمر على النّداء كقوله تعالى:وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ [يس 59]. و قد يعقُب النّداء جملة خبرية تليها جملة الأمر كقوله تعالى:يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف 87]. و قد لا تأتي جملة الأمر كما في قوله تعالى:فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ [النحل 29]. و قد يأتي الاستفهام بعد النّداء كقوله تعالى:يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ [التحريم 1]. أو قبله كقوله تعالى:قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ [الزمر 64].

و حكى الأنباري في "الإنصاف" عن الكوفيين قولهم: "النّداء لا يكاد ينفكّ عن الأمر أو ما يجري مجراه من الطّلب و النّهي، و لذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله نداء ينفكّ عن أمر أو نهي، و لهذا لمّا جاء بعده الخبر في قوله تعالى:يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن

يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ [الحج 73] شفعه بالأمر في قوله: "فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ".

2.2 حرف النداء "يا":

حرف " يا " أكثر حروف النّداء استعمالا، و لهذا لم يقدّر عند الحذف سواها، مثل قوله تعالى:يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَـٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ [يوسف 29] و في قوله:قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ [الحجر 57].

و لم يستعمل القرآن الكريم في أساليب النّداء فيه سوى الياء، و لا يُنادى اسم لفظ الجلالة " الله " و " أيّها " إلاّ بـــ: " يا ". يقول الزّمخشري و غيره: "كُرّر في القرآن النّداء بـــ: " يا أيّها " دون غيره لأنّ فيها أوجها من التّأكيد و أسبابا من المبالغة منها: ما في " يا " من التّأكيد و التّنبيه، و ما في " ها " من التّنبيه، و ما في التدرّج من الإبهام في " أيّ " إلى التّوضيح، و المقام يناسب المبالغة و التّأكيد، لأنّ كلّ ما نادى به الله عباده، من أوامره و نواهيه و عظاته و زواجره، و وعده و وعيده، و من قصص أخبار الأمم الماضية و غير ذلك ممّا أنطق به الله كتابه، أمور عظام و خطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقّظوا لها و يميلوا بقلوبهم و بصائرهم إليها، فاقتضى الحال أن يُنادى بالآكد الأبلغ.

و يكثر حذف " يا " في نداء الربّ سبحانه، كنداء زكرياء عليه السّلام لربّه في قوله:قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ [مريم 4]، و نداء إبراهيم عليه السّلام:فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ [البقرة 200].

و أصل النّداء بـــ: "يا" أن يكون لنداء البعيد حقيقة أو حكما، لكنّ التّعبير القرآني أتى بها في نداء القريب لنكتٍ لطيفة و أسرار دقيقة، منها:[1]

[1] – من أسرار التّعبير في القرآن / حروف القرآن، الدّكتور عبد الفتّاح لاشين، ط 1 / 1983 / شركة مكتبات عكاظ.ص36

1- إظهار الحرص على إقبال المدعو مثل قوله تعالى:وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ [القصص 31].

2- كون الخطاب المتلو مُعتَنى به، كقوله تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة 21]

3- قصد تعظيم شأن المدعو نحو: "يا ربّ"، و قد قال تعالى:صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [البقرة 18]

4- قصد انحطاطه كقوله تعالى على لسان فرعون:وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ [الإسراء 101]

أمّا في بحثنا هذا، فإنّا اقتصرنا على نداء الله عزّ وجلّ لرسوله محمّد ﷺ بصيغتيه " **يا أيّها الرّسول** " و " **يا أيّها النبيّ** "، و فيما يلي تفصيل لذلك:

3.2 النّداء على رسول الله ﷺ في القرآن الكريم :

- جاء النّداء في القرآن الكريم " يا أيّها " بعدد 143 مرّة.
- و جاء النّداء من اله تعالى على عشر (10) منادى عليه.
- جاء النّداء من (8 غير الله) بعدد 9 مرّات.

- مجموع المنادى عليه في القرآن الكريم (19) منادى مقسّمة بين الله و عباده بنسبة 10: و هما عددا الرقم 19. و كان أوّلهم النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على: " النّاس " بيا أيّها النّاس 19 مرّة.

- و كان النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على " محمّد " ﷺ مباشرة بعدد حروف اسمه (4) و عدد مرّات تكرار اسمه محمّد في القرآن (4): ناداه سبحانه و تعالى بقوله: " **يا أيّها**

الرّسول" مرّتين **في** سورة المائدة الآية 41 و 76. و ناداه بقوله: " **يا أيّها النبيّ** " 13 مرّة موزّعة كما يلي:[1]

1- سورة المائدة ⇦ آيتان فيها " يا أيّها الرّسول ": الآية 41 و 67 / مدنية.

2- سورة الأنفال ⇦ 3 آيات فيها " يا أيّها النبيّ ": الآية 64 و 65 و 70/ مدنية.

3- سورة التّوبة ⇦ مرّة واحدة " يا أيّها النبيّ ": الآية 73 / مدنية.

4- سورة الأحزاب ⇦ خمس آيات فيها " يا أيّها النبيّ " / مدنية.

5- سورة الممتحنة ⇦ آية واحدة فيها " يا أيّها النبيّ " / مدنية.

6- سورة الطّلاق ⇦ آية واحدة فيها " يا أيّها النبيّ " / مدنية.

7- سورة التّحريم ⇦ آيتان فيها " يا أيّها النبيّ " / مدنية.

جاء النّداء في القرآن الكريم "يا أيّها" بعدد 143 مرّة موزّعة في جدول سنورده في الصفحة التالية، و جاء النّداء من الله تعالى على 10 منادى عليه، كما جاء النّداء من (غير الله) بعدد 9 مرّات، و بذلك يكون مجموع المنادى عليه في القرآن الكريم (19) منادًى مقسّمة بين الله و عباده بنسبة 10: 9 و هما عددا الرّقم (19)، و كان أولهم النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على النّاس: "يا أيّها النّاس" 19 مرّة.. و كان النّداء من الحقّ سبحانه و تعالى على "محمّد" ﷺ مباشرة بعدد حروف اسمه (4) و عدد مرّات تكرار اسمه محمّد في القرآن (4) فناداه سبحانه بقوله تعالى: "**يا أيّها الرسول**" مرّتين [المائدة 41-67]، و "**يا أيّها النبيّ**" 13 مرّة و "يا أيّها المزمل" مرّة واحدة [المزمل 1]، و "يا أيّها المدثّر" مرّة واحدة [المدثر 11]*

[1] - من موقع بالإنترنت خاص بالإحصائيات القرآنية.

* موقع من الإنترنت، الفرق بين الرّسول و النبيّ.

4.2 جدول إحصائي خاصّ بالصّيغتين:" يا أيّها الرّسول" و" يا أيّها النبيّ

رقم	المُـــــنادى	التكرار	السورة	ترتيبها	التّكرار	رقم الآية	التّكرار	المجموع
1	يا أيّها الرّسول	2	المائدة	5	2	41	1	1
2	يا أيّها الرّسول		المائدة	5		67	1	2
3	يا أيّها النبيّ	13	الأنفال	8	3	64	1	3
4	يا أيّها النبيّ	1	الأنفال	8		65	1	4
5	يا أيّها النبيّ	1	الأنفال	8		70	1	5
6	يا أيّها النبيّ	1	التّوبة	9	1	73	1	6
7	يا أيّها النبيّ	1	الأحزاب	33	5	1	1	7
8	يا أيّها النبيّ	1	الأحزاب	33		28	1	8
9	يا أيّها النبيّ	1	الأحزاب	33		45	1	9
10	يا أيّها النبيّ	1	الأحزاب	33		50	1	10
11	يا أيّها النبيّ	1	الأحزاب	33		59	1	11
12	يا أيّها النبيّ	1	الممتحنة	60		12	1	12
13	يا أيّها النبيّ	1	الطّلاق	65		1	1	13
14	يا أيّها النبيّ	1	التّحريم	66		1	1	14
15	يا أيّها النبيّ	1	التّحريم	66		9	1	15

ملاحظة:

– هذا فيما يخصّ الصّيغتين المدروستين، فقد تكرّرت " **يا أيّا الرّسول** " مرّتين في سورة المائدة في الآيتين 41 و 67 و هي سورة مدنية و لم ترِد في غيرها. و قد تكرّرت " **يا أيّها النبيّ** " ثلاثة عشر مرّة فقط موزّعة في السور القرآنية المذكورة أعلاه، منها ما جاء في أوائلها كما في: سورة الأحزاب، الطّلاق و التّحريم. و منها ما جاء في قلبها و هي باقي السور الكريمة.

- مجموع آيات " **يا أيّها النبيّ** " ثلاثة عشر (13) آية

- مجموع " **يا أيّها الرّسول** ": مرّتين.

أمّا الصيغ المتبقية التي نادى بها الله نبيّه محمّد ﷺ فهي:

1- وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ [الحجر 6]

2- يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ [المزمّل 1]

3- يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ [المدثر 1]

المبحث الثالث: أسرار صيغة " يا أيها الرسول"

1.3 القرآن الكريم (مكي ، مدني) :

من المعروف بطبيعة الحال أنّ هناك سورا مكية و سوَرا مدنية في القرآن بحسب مكان نزولها بمكّة أو المدينة، و لكن هناك ظاهرة تلفت نظرنا بادئ ذي بدء هي وجود آيات مدنية في سور مكية و آيات مكية في سور مدنية، أي أنّ هناك آيات نزلت في المدينة و لكنّها ألحقت بسور مكية، و آيات نزلت بمكّة و لكنّها ألحقت بسور مدنية.

ظاهرة أخرى هي الاختلاف الواضح بين السور المكية و المدنية في طريقة التّعبير و بناء الآيات. فالسور المكية – في الغالب – قصيرة الآيات، سريعة الحركة، سريعة النّبض، مثيرة للوجدان. أمّا السور المدنية – في الغالب – طويلة الآيات، متأنية الحركة، أقرب إلى إثارة التأمّل الفكري منها إلى إثارة الوجدان: ذلك هو الغالب، و إن كانت هناك في الحقيقة استثناءات غير قليلة لهذه القاعدة العامّة، فإنّك لا تستطيع مثلا أن تميّز سورة الأحزاب عن السور المكية إلاّ بموضوعها لا بجرسها و لا بطول الآيات فيها، كما أنّك لا تستطيع تمييز سورة الزّلزلة عن السور المكية لا بموضوعها و لا بجرسها جميعا.

فحين يكون الموضوع الرّئيسي في السور المدنية هو التّشريعات و التّنظيمات و بناء المجتمع المسلم و لإقامة الدّولة المسلمة و تثبيت أركانها إزاء الكيد الذي يكيده لها أعداؤها،

يكون الأسلوب المناسب هو الحركة المتأنية و المخاطبة العقلية التي لا تدع المجال للتدبّر و التّفكير، و مع ذلك فهو ليس ذلك الأسلوب العقلي الجاف الذي تستخدمه البحوث العلمية، و لا هو التّجريد الذّهني البحث الذي تستخدمه الفلسفة، إنّما هو نسق فريد من التّعبير لا مثيل له فيها يكتسب البشر أو يتحدّثون و لا يفقد النّبض الحي و لا الجرس الموسيقي حتّى في آيات التّشريع البحت، و لا يخاطب عقل الإنسان وحده دون بقية كيانه.[1]

أما السور المدنية فتُعنَى بجانب التّوجيه و التّشريع، و هي أطول سور القرآن و تعالج النّظم و القوانين التّشريعية للدّولة الإسلامية الجديدة.[2]

سورة المائدة:

و هي التي ذُكرت فيها آيتان بهما صيغتا: "**يا أيّها الرّسول**" و هما: الآية 41 و الآية 67.

سورة المائدة من السور المدنية التي نزلت على الرّسول ﷺ بعد الهجرة النّبوية، و تلك السّورة الجليلة تناولت "جانب التّشريع" بتفصيل و إسهاب، فتحدّثت عن أحكام العقود و المبايعات، و عن أحكام الذّبائح و عن نكاح الكتابيات و أحكام الطّهارة و التّيمّم و عن حدّ السّرقة و حدّ البغي و الإفساد في الأرض، و عن أحكام الإيمان و عن تحريم الخمر و الميسر، و عن قتل الصّيد حالة الإحرام و غير ذلك من الأحكام التّشريعية التي زخرت بها هذه السّورة الكريمة.

نزلت هذه السّورة على الرّسول بعد منصرفه من صلح الحديبية، و جماع السّورة يتناول الأحكام التّشريعية التي بيّنها الله لعباده المؤمنين لأنّ الدّولة الإسلامية كانت في بدء تكوينها، و هي بحاجة إلى "المنهج الربّاني" الذي يعصمها من الزّلل و الخطأ و يرسم لها طريق البناء و الاستقرار.[3]

أمّا الآية الأخرى و هي: 67 من سورة المائدة: يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ .

---

[1] قطب محمد: دراسات قرآنية، ص 19، دار الشّروق.

[2] - الصّابوني محمّد علي، قبس من نور القرآن الكريم، ج 1.

[3] - الصّابوني محمّد علي، قبس من نور القرآن الكريم، مكتبة رحاب الجزائر، ط2، 1987 – 1407، ص 71.

2.3 أسباب النّزول:

*الآية 41 من سورة المائدة:

قال تعالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ.. ﴿٤١﴾.

حدّثنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري إملاء قال: أخبرنا أبو محمّد حاجب بن أحمد الطّوسي قال: حدّثنا محمّد بن حمّاد الأبيوري قال: حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن البراء بن عازب قال: مرّ على رسول الله ﷺ بيهوديّ محمما مجلودا، فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حدّ الزّاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، قال: فدعا رجلا من غلمانهم فقال: أنشدك الله الذي أنزل التّوراة على موسى عليه السّلام، هكذا تجدون حدّ الزّاني في كتابكم؟ قالوا: لا، و لولا أنّك نشدتني لم أخبرك، نجد حدّ الزّاني في كتابنا الرّجم، و لكنّه كثر على أشرافنا، فكنّا إذا أخذنا الشّريف تركناه و إذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحدّ، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشّريف و الوضيع فاجتمعنا على التّحميم و الجلد مكان الرّجم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهمّ إنّي أوّل من أحيا أمرك إذا أماتوه، فأمر به فرُجم، فأنزل الله تعالى: "يا أيّها الرّسول لا تحزنك الذين يسارعون في الكفر." إلى قوله: "إن أوتيتم هذا فخذوه، يقولون ائتوا محمّدا فإن أفتاكم بالتّحميم و الجلد فخذوا به، و إن أفتاكم بالرّجم فاحذروا، إلى قوله تعالى: "و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون." قال في اليهود. إلى قوله: "و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظّالمون. قال في اليهود إلى قوله: "و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون". قال في الكفار، كلها، رواه مسلم عن يحي بن يحي[1] عن أبي معاوية.

*الآية 67 من سورة المائدة:

أما الآية الأخرى المبتدئة بـــ: "**يا أيّها الرّسول**" و سبب نزولها حسب المرجع نفسه:

قوله تعالى في الآية رقم:67 من سورة المائدة : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ .

[1] - النّيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النّزول، ص ص 111-112، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2 (1411-1991هـ).

قال الحسن: إنّ النبيّ ﷺ قال: "لمّا بعثني الله تعالى برسالتي ضقتُ ذرعا و عرفت أنّ من النّاس من يكذّبني، و كان رسول الله ﷺ يهيب قريش و اليهود و النّصارى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا أبو سعد محمّد بن علي الصفار قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المخلوي، قال أخبرنا محمّد بن حمدون بن خالد قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم الخلوتي قال: حدّثنا الحسن بن حمّاد سجادة قال: حدّثنا الخدري قال: نزلت هذه الآية: "يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك." يوم غدير خمّ في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله تعالى: "و الله يعصمك من النّاس." قالت عائشة رضي الله عنها: "سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلتُ: يا رسول الله ما شأنك؟ قال: ألا رجل صالح يحرسنا اللّيلة، فقالت: بينما نحن في ذلك سمعتُ صوت الصلاح، فقال من هذا؟ قال: سعد و حذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتّى سمعتُ غطيطه. و نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله ﷺ من قبة آدم و قال: انصرفوا يا أيّها النّاس فقد عصمني الله.[1]

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، قال: حدّثنا ابن نجيد قال: حدّثنا محمّد بن الحسن بن الخليل بن محمّد بن العلاء، قال: حدّثنا الجماني قال: حدّثنا النّضر عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ يحرس و كان يرسل معه أبو طالب رجالا من بني هاشم يحرسونه حتّي نزلت عليه هذه الآية: "يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك –إلى قوله: و الله يعصمك من النّاس." قال: فأراد عمّه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عمّ، إنّ الله تعالى قد عصمني من الجنّ و الإنس.

هذه عيّنة من الرّوايات التي وردت في صفحات أحد أهمّ كتب أسباب النّزول و غيرها كثير، و لقد اكتفيت هنا بذكر هذه الرّواية من هذا الطّريق و لا أظنّ أنّه يعنيني هنا في بحثي أن أتطرّق إلى كلّ الرّوايات الأخرى، لأنّها تتشابه جلّها في المضمون، ألا و هو سبب نزول هذه الآية الكريمة.

[1] – المرجع السّابق، ص 115.

3.3 قصص الأنبياء و وحدة الرّسالة:

يحتلّ قصص الأنبياء جانبا غير قليل من السور المكية و يتركّز بصفة خاصّة في مجموعة من السور يحمل بعضها اسم واحد من الأنبياء، بالإضافة إلى سورة "الأنبياء" التي يشير اسمها إلى موضوعها، و تلك السور هي: الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الشّعراء، النّمل، القصص، العنكبوت، الصافّات و ص.. غير إشارات عديدة جدّا في كثير من السور المكية.

و يجيء القصص في القرآن لأهداف شتّى:

* منها إثبات صدق الوحي المنزّل على رسول الله ﷺ: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف 3]. كذلك قوله تعالى: وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾. [القصص 44-46].

* و منها التّسرية عن الرّسول ﷺ فيما يلقاه من قومه من تكذيب و أذى و اتّهام بالسّحر و الجنون، فقد كُذّب الرّسل من قبل و وُجّه لهم القول نفسه، لكم صبروا حتّى جاءهم نصر الله و إهلاك المكذّبين: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ [الأنعام 34]. و كذلك قوله: تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ [الأعراف 101-102]. و قوله: وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [هود 120]. إلى اخر ذلك من الآيات الكريمة و منها:

- الآية 110 من سورة يوسف.
- الآية 31 من سورة الفرقان.
- الآيات: 4-15 من سورة ص.
- الآية 43 من سورة فُصّلت.
- الآيات: 52-53 من سورة الذّاريات.[1]

و مع التّسرية عن الرّسول ﷺ، التّسرية عن المؤمنين كذلك و هو يلقون العنت و التّشريد و العذاب بسبب إيمانهم.

و من أهداف القصص القرآنيّ أيضا إبراز حقيقة عقيدة هامّة تبرز من خلال السّرد التّاريخيّ، هي أنّ الأنبياء و الرّسل جميعا عليهم صلوات الله و سلامه جاءوا بكلمة واحدة و قضية واحدة على تتابع الأجيال، كلمة واحدة: لا إله إلاّ الله، و قضية واحدة هي: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره...

و هذا الهدف من أهمّ أهداف القصص القرآنيّ في الحقيقة، ويبدو بارزا شديد البروز من خلال السّرد القرآني، و تُتّخذ له وسائل شتّى، فأحيانا يوحّد أسلوب القصص (مع التّنويع الواضح في القرآن)، بحيث تجيء العبارة موحّدة على لسان كلّ رسول في الشّريط المتتابع للرّسل، كلّ رسول يقول الكلمة و يمضي و يأتي من بعده بالكلمة نفسها بلا تغيير، و تارة يُقال عن قوم معيّنين إنّهم كذّبوا الرّسل مع أنّهم لم يُرسل إليهم إلاّ رسول واحد ليوحي التّعبير بأنّ تكذيب الرّسول الواحد هو بمثابة تكذيب الرّسل كلّهم، إذ أنّهم كلّهم يقولون ذات الشّيء بلا تغيير، فمن كذّب واحدا منهم فقد كذّبهم جميعا.. و تارة يُقال عن أقوام متعدّدين أنّهم عصوا "رسول ربّهم"، فيوضّح ذلك أنّ كلّ أمّة كذّبت رسولها و يوحي في ذات الوقت أنّه كأنّما هو رسول واحد الذي بعث إلى هذه الأقوام جميعا لأنّهم على اختلاف أقوامهم و أزمانهم و أماكنهم و لغاتهم، قد قالوا ذات الكلمة و عرضوا ذات القضية... و من هنا فالرّسل جميعا كأنّهم رسول واحد يتكرّر لكلّ قوم من الأقوام.

[1] - محمّد قطب. دراسات قرآنية، دار الشّروق، ص 99.

و يجدر بنا التساؤل لماذا الرسل ؟

و من دلائل الوحدانية إلى دلائل النبوّة و الرّسالة، تتحدّث الآيات الكريمة عن إعراض المشركين عن كلّ البراهين و الحجج التي جاءهم بها رسول الله ﷺ: "و ما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلاّ كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون."

إنّ الغاية و الحكمة من بعثة الأنبياء و المرسلين هي هداية النّاس إلى الدّين الحقّ و إنقاذهم من أحوال الغواية و الضّلالة، و كذا تعريفهم بالإله المعبود، و في ذلك يقول الله تعالى: " و ما نرسل المرسلين إلاّ مبشّرين و منذرين، فمن آمن و أصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون و الذين كذّبوا بآياتنا يمسّهم العذاب بما كانوا يفسقون".

إن أرقي ما يستطيع أن يصل العقلُ إليه و هو أن يعرف وجود الله بآياته في الكون و في الخلق، و يعرف أنّه إله لا شريك له.. و لماذا؟ لأنّ الله قد أخبرنا بأنّه هو الذي خلقّ كلّ هذا و سخّره للإنسان و لم يستطع أحد أن يدّعي أنّه فعل هذا، فلو أنّ هناك إلها آخر. فإمّا أن يكون قد عُرف، في هذه الحالة كان لا بدّ أن يتكلّم و يخبرنا أنّه خلق، و إمّا أن يكون قد جهل هذا، و في هذه الحالة تسقط عنه صفة الألوهية، و لذلك فإنّ قضية وحدانية الله محسومة تماما، لأنّ الله سبحانه و تعالى هو الذي قال إنّه خلق و أوجد و لم تأت قوّة أخرى لتقول أنّها خلقت و أوجدت.. و لا تستطيع أيّ قوّة أخرى أن تدّعي ذلك.. فالقضية إذا محسومة في أنّ إله واحد لا شريك له، هو الله سبحانه و تعالى، و لا تحتاج إلى مزيد من المناقشة.

و إذا توصّلنا إلى هذه الحقيقة و هي أقصى ما يستطيع العقل أن يصل إليه، فإنّنا في هذه الحالة محتاجون لأن نعرف ماذا يريد الله منّا في هذا الكون، كيف نعبده و نتقرّب إليه و نشكره على هذه النِّعم التي سخّرها لنا، و التي لا يستطيع أحد أن يدّعي أنّه قام بتسخيرها.

من الذي يحدّد الطّريقة التي نعبد الله بها و نتقرّب إليه و نشكره على نعمه، لا شكّ أنّ الذي يحدّد ذلك هو الخالق و المعبود، و هو الذي يقول يا عبدي، إذا أردتَ أن تعبدني و تتقرّب إليّ فافعل كذا و لا تفعل كذا.. فهو وحده الذي يستطيع أن يحدّد، و من هنا كانت حتمية الرّسل..

بشر اختارهم الله سبحانه و تعالى و أوحى إليهم بما يريده من منهج العبادة في الأرض و أن يبلّغوا عباده كيف يتقرّبون إليه و يشكرونه على نعمه و يؤدّون حقّ الألوهية له.[1]

و من هنا جاءت الرّسل لتبلّغ عن الله سبحانه و تعالى منهج العبادة الذي اختاره و ارتضاه لخلقه. حتّى يصدّق النّاس أنّ هؤلاء الرّسل قد اختارها الله سبحانه و تعالى لتبلّغ منهجه إلى النّاس، أيّدها بمعجزات تخرق قوانين الكون و نواميسه وحفظها لتبلّغ رسالته، فجعل لكلّ نبيّ معجزة لا يقدر عليها غيره من البشر و جعل هذه المعجزة دليلا على صدق الرّسالة، و وضع فيها من القوّة و القدرة ما لا يستطيع إنسان أن يدّعيه.. فلم تحرق النّار إبراهيم، و لا يستطيع أحد أن يسلب من النّار خاصية الحرق إلاّ الله سبحانه و تعالى.. و انشقّ البحر لموسى.

و لا يستطيع أن يفعل ذلك إلاّ الله سبحانه و تعالى.. و أحيا عيسى الموتى بإذن الله.. و كانت معجزة رسول الله محمّد ﷺ هي القرآن الكريم الذي وضع فيه الله سبحانه و تعالى إعجازا متجدّدا إلى يوم القيامة يفيض على كلّ جيل بمعجزات لم يُعطَها الجيل الذي قبله.[2]

4.3 التّفضيل بين الرّسل و مكانة محمد ﷺ :

تناولت سورة البقرة مع الأحكام التّشريعية موضوع "النبوّة و الرّسالة" و الخصائص التي خصّ تبارك و تعالى بها بعض الأنبياء و المرسلين، فمنهم من خصّه الله بالسيادة و القيادة، و منهم من شرّفه بالكلام بدون وساطة، و منهم من أيّده بالآيات الباهرات و المعجزات السّاطعات، فليس هؤلاء الرّسل – على جلالة قدرهم و علوّ منزلتهم – ليسوا بمرتبة واحدة من الفضل و الشّرف، بل قد فضّل الله بعضهم على بعض، فجعل محمّدا إمام المرسلين، و إبراهيم قدوة الصّالحين، و موسى كليم الرّحمان، و عيسى بن مريم مظهرا من مظاهر القدرة الباهرة حيث خُلق من غير أب و أيّده بروح القدس جبريل الأمين، و في ذلك يقول الله تعالى: تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ... ﴿٢٥٣﴾ فكما جاء التّفضيل بين الأنبياء، فإنّه لا يستبعد أن يفضّل بعض الأمم على بعض، فيجعل أمّة محمّد ﷺ أفضل الأمم في السّبق و الشّرف، مع أنّها آخر الأمم في الوجود و الزّمن، و صدق الله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

1 – الشّعراوي محمّد متولي، معجزة القرآن، ص 17.

2 – المرجع نفسه.

أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴿١١٠﴾ [آل عمران 10].

محمّد ﷺ سيّد المرسلين:

ذكر الله شهادته على صدق نبوة محمّد ﷺ، فهو النبيّ المؤيّد بالمعجزات الباهرات، و من أعظم معجزاته هذا القرآن الدّائم الخالد الذي يشهد بصدق رسالته و صحّة نبوّته لأنّه أمّيّ لا يقرأ و لا يكتب، و جاء بكتاب عظيم فيه من شتّى العلوم و المعارف، أفلا يكون ذلك برهانا على صدق نبوته؟:. قال تعالى في سورة الأنعام " قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾

لقد بعث الرسول ﷺ لتبليغ الوحي و الرّسالة، لا إجابة المشركين إلى ما اقترحوه من خوارق العادات، فليس في يد محمّد خزائن الله و لا معرفة علم الغيب، و إنّما هو رسول من الرّسل بعثه اله لهداية البشرية. قال تعالى في سورة الأنعام: قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

ذكر الله شهادته على صدق نبوة محمّد ﷺ، فهو النبيّ المؤيّد بالمعجزات الباهرات، و من أعظم معجزاته هذا القرآن الدّائم الخالد الذي يشهد بصدق رسالته و صحّة نبوّته لأنّه أمّيّ لا يقرأ و لا يكتب، و جاء بكتاب عظيم فيه من شتّى العلوم و المعارف، أفلا يكون ذلك برهانا على صدق نبوته؟:. قال تعالى في سورة الأنعام " قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾

خاطب الله سبحانه و تعالى أنبياءه كلّهم و رُسله خطابا مباشرا، فكلّمهم كما فعل مع موسى عليه السّلام، (فمنهم من كلّم الله) أو غير مباشر، و ذلك له تجليات عدّة: منه الوحي عن طريق الملائكة كجبريل عليه السّلام، و منه القذف في الرّوح و القبل كما كان مع زكرياء و مريم عليهما السّلام، و منه إظهار معجزة ما كما تجلّى لموسى عليه السّلام حينما طلب منه رؤيته،

و قصّة الجبل المعروفة، و منه الرّؤيا الصّالحة كما حدث مع إبراهيم عليه السّلام و ما رآه في منامه أنّه يذبح ابنه إسماعيل عليه السّلام، و الحديث عن هذا الأمر حديث يحتاج إلى بحوث مطوّلة و دراسات، و هو ليس مجالنا هنا، إنّما أردتُ فقط التّعريج عليه دخولا إلى خطاب الله لرسوله ﷺ بالذّات. و لْنقِف قليلا مع هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران لنأخذها مفتاحا لهذا العنصر من البحث.

قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران 81].

و هذه الآية تدلّ دلالة واضحة على أنّ محمّدا ﷺ سيّد الأنبياء و المرسلين، و أنّه أعلاهم قدرا و أسماهم منزلة، و كذلك وجب عليهم إن أدركوا حياته أن يتّبعوه وينضوُوا تحت لوائه و قد جاءت الآيات تقيم الأدلّة و البراهين على وحدانية الله و قدرته و حكمته و تثبيت بما لا يحتمل الشكّ أنّ محمّد ﷺ من عند الله حقّا، أيّده الله بالمعجزات السّاطعات و من أعظمها معجزة القرآن، فلا حاجة إلى من يشهد له بالنّبوة و الرّسالة.[1]

و إذا أتينا إلى تفسير هذه الآية في كتب المفسّرين الأوائل قبل أن نقف أمامها معقّبين، و إنّها لتستحقّ الوقوف طويلا، فهي برأيي آية بليغة، بل هي معادلة ضمّت طرفين هما: الأنبياء و الرّسول ﷺ . و إذا جئنا إلى تفسير هذه الآية اللّغز و المفتاح في الوقت نفسه نقول: يقول ابن كثير في تفسيرها: "يُخبر الله تعالى أنّه أخذ ميثاق كلّ نبيّ بعثه من لدن آدم عليه السّلام إلى عيسى عليه السّلام مهما أتى الله أحدهم من كتاب و حكمة و بلغ أي مبلغ، ثمّ جاء رسول من بعد ليؤمننّ به و لينصُرنّه، و لا يمنعه ما هو فيه من العلم و النبوّة من إتباع من بُعث بعده و نُصرته، و لهذا قال تعالى: "و إذ أخذ الله ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتاب و حكمة." أي لما أعطيتكم من كتاب و حكمة، "ثمّ جاء رسول مصدّق لما معكم لتؤمننّ به و لتنصرنّه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم إصري." قال ابن عبّاس و مجاهد: "يعني عهدي، و قال محمّد بن

[1] - الصّابوني محمد علي، قبس من نور القرآن، مكتبة رحاب، ط 2.

إسحاق "إصري" أي ميثاقي الشّديد المؤكّد، "قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشّاهدين فمن تولّى بعد ذلك" أي عن هذا العهد و الميثاق، "فأولئك هم الفاسقون"، قال عليّ و ابن عبّاس رضي الله عنهما: "ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلاّ أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمّدا و هو حيّ ليومننّ به و لينصرنّه، و أمرَه أن يأخذ الميثاق على أمّته لئن بعث محمّدا و هم أحياء ليؤمننّ به و لينصرنّه". و قال الحسن البصري و قتادة: " أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدّق بعضهم بعضا و هذا لا يضادّ ما قاله عليّ و ابن عبّاس و لا ينفيه، بل يستلزمه و يقتضيه." و قد قال الإمام أحمد: " جاء عمر إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي أمرت بأخ لي يهوديّ من قريظة فكتب لي جوامع من التّوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيّر وجه ﷺ، قال عبد الله بن ثابت قلتُ له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ! فقال عمر: رضيتُ بالله ربّا و بالإسلام دينا و بمحمّد رسولا، قال: فسُرِّيَ عن النبيّ ﷺ و قال: "و الذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السّلام ثمّ اتّبعتموه و تركتموني لضللتم، إنّكم حظّي من الأمم و أنا حظّكم من النبيين."[1]

هذه مكانة محمّد ﷺ بين الرّسل، وهذا مكان الإسلام بين الأديان، و إذا جئنا إلى السنّة المطهّرة و ما ورد فيها من أحاديث تدعّم هذه الآية الكريمة و تقوّيها و تؤيّدها، فحسبنا هذا الحديث: فعن جابر، قال رسول الله ﷺ : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم، و قد ضلّوا، و إنّكم إمّا أن تصدّقوا بباطل، و إمّا أن تكذّبوا بحقّ، و إنّه و الله لو كان موسى حيّا بين أظهركم ما حلّ له إلاّ أن يتّبعني."[2]

و في بعض الأحاديث: "لو كان موسى و عيسى حيّين لما وسعهما إلاّ اتّباعي". فالرّسول محمّد خاتم الأنبياء- صلوات الله و سلامه عليه -دائما إلى يوم الدّين هو الإمام الأعظم الذي لو وُجد في أيّ عصر وُجد لكان هو الواجب الطّاعة المقدّم على الأنبياء كلّهم، و لهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لمّا اجتمعوا ببيت المقدس، و كذلك هو الشّفيع في المحشر في إتيان الربّ جلّ جلاله لفصل القضاء بين عباده.

[1] - رواه الإمام أحمد.

[2] - رواه الحافظ أبو يعلى.

المبحث الرابع: صيغ أخرى غير الخطاب لورود كلمة "رسول".

* لماذا لم يُنادَ (يُخاطَب) محمّد ﷺ باسمه منفردا؟

* لماذا اقترن اسمه دائما بكلمة "رسول" حتّى في المرّات القليلة التي خاطبه ربّه به، على خلاف باقي الرّسل؟

* هل هذا تشريف له؟ أم تكليف أكبر من تكليف أيّ نبيّ آخر؟

* هل فعلا عبارة "**يا أيّها النبيّ**"، كما ادّعى البعض هي للتّأنيب و اللّوم؟ و عبارة "يا أيّها الرّسول" هي للتّبليغ فقط؟ أم هناك خيط رفيع بينهما. أم لا يوجد أصلا أيّ فرق أو أيّ أساس لهذا التّفريق الذي نتحفّظ في بحثنا هذا عن تسميته شبهة، في حال واحد: هي إذا كانت نية قائلها مجرّد تحرّي الحقيقة و لاشيء غير ذلك.. و إلاّ فإنّي أتساءل: أيّ مصلحة لمن يدّعي ادّعاءً كهذا؟ فإنّه لعمري لا ينقص من عظمة و مكانة رسول الله ﷺ قيد أنملة، هذا و إن كان دفاعا عاطفيا من جانبي لا يخلو منه قلب مسلم غيور على دينه و نبيّه، فإنّه طبعا يفتقر إلى تدعيم علميّ و اقعيّ.

1.4 آيات مشتملة علي لفظة" رسول" غير مقترنة باسم محمد:

وردت لفظة "**رسول**" معرفة و نكرة في العديد من المواقع في القران الكريم و قد جاءت بصيغة الغائب علي سبيل الذكر أو الالتفات ،والآيات في ذلك كثيرة نذكر منها:

* سورة التّوبة الآية 128: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾.

* سورة النّساء الآية 136: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾.

* سورة الأعراف الآية 158: قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

* سورة التّغابن الآية 8 : فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

* سورة النّور الآية 62: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

* سورة البقرة الآية 129: رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

* سورة البقرة الآية 151: كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

* سورة آل عمران الآية 164: لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

* سورة الجمعة الآية 2: هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

باب فرض الله طاعة رسول الله: ص 79.

* سورة الأحزاب الآية 36: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

* سورة النّساء الآية 59: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾.

* سورة النّساء الآية 69: وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

* سورة الأنفال الآية 20: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

* سورة النّساء الآية 80: مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

* و قال في سورة النّور الآيات من 62 إلي 63: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

* سورة النّور الآيات من 48-52: وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

إن المتدبر لهذه الآيات الكريمة يلاحظ بما لا يدع مجالا للشك تكرار ورود لفظة" **رّسول**" تنكيرا و تعريفا دون لفظة "**النبيّ**" و ذلك في سياقات مختلفة، و لا يختلف اثنان في وجود فرق و تمايز جلي بين كلّ من الاستعمالين ،وأكاد أجزم أن الله عز و جل لم يخص بالذكر هده اللفظة اعتباطا، ذلك أن النظم القرآني مؤلف من كلمات أساسية تكون روح الآية، فأن حدث أن استبدلت لفظة من موضعها أو تغيرت كليا لتعوض بكلمة أخرى يترتب عن ذلك تغير في المحتوى الدلالي و الموضوعي لهده الآية.

جاءت هده الكلمة بالذات "رسول" ولم ترد "نبي" على الرغم من تقارب المعنى فيما بينهما لتدل على أمور منها

1-تأكيدا و اعترافا بدور الرسول ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء و المرسلين.

2-فرض طاعة الرسول بجعلها جزءا لا يتجزأ من طاعة الله تعالى .

3-قرن الإيمان و جعله مكتملا بالإيمان بالله و رسوله، أي برسالته، فالرّسالة أشمل من النّبوة لأنّها تبليغ و تكليف.

2.4 آيات مشتملة علي لفظة" رسول" مقترنة باسم محمد:

أمّا المواضع التي اقترن فيها "رسول" بـــ: "محمّد" فهي ثلاثة رصدتها في القرآن الكريم و ذلك كما يلي:

* سورة آل عمران الآية 144:وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾.

يقول ابن كثير في تفسير هده الآية:

لما انهزم ما انهزم من المسلمين يوم أحد و قتل من قتل منهم،نادى الشيطان لعنه الله:ألا أن محمدا قد قتل و رجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم:قتلت محمدا و إنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس و اعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قتل و جوزوا عليه ذلك كما قد قص الله عن كثير من الأنبياء

عليهم السلام فحصل ضعف و وهن وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله تعالى:"و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل"أي له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه .1

*سورة الفتح الآية 29 : مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

يقول ابن كثير في تفسير هده الآية الكريمة

يخبر الله تعالى عن محمد ﷺ انه رسوله حقا بلا شك و لا ريب فقال :"محمد رسول الله" و هدا مبتدأ و خبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم يثني بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال" و الدين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال عز و جل" فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" وهده صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار رحيما برا بالأخيار غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى" يا أيها الدين آمنوا قاتلوا الدين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة" و قال النبي ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد يشد بعضه بعضا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى" و قال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" و شبك بين أصابعه"و كلا الحديثين في الصحيح،و قوله تعالى"تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا"ا

سورة الأحزاب الآية 40:مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

يقول ابن كثير في تفسيره لهده الآية الكريمة وقوله تعالى"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم" نهى أن يقال بعد هدا زيد بن محمد،أي لم يكن أباه وان كان تبناه فانه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم.فانه ولد له القاسم و الطيب و الطاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغارا وولد له إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضا رضيعا.

و قوله تعالى "ولكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما" كقوله عز و جل "الله أعلم حيث يجعل رسالته" الأنعام آية 124 فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده،و إذا كان بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى و الأحرى لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة،فان كل رسول نبي و لا ينعكس و بذلك وردت الأحاديث المتواترة من رسول الله من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قال الإمام أحمد "حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه رضي الله عنه ،عن النبي قال"مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها و أكملها و ترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان و يعجبون منه و يقولون لو تم موضع هده اللبنة ،فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة" رواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي و قال حسن صحيح. "

3.4 الآية التي اشتملت علي اسم محمد منفردا:

لقد وردت "محمّد" و لم تقترن بـــ: "رسول" و لا "نبيّ" و ذلك في الآية 2 من سورة محمّد: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢. فما تفسير ذلك يا ترى؟

لقد وردت هذه الآية في سورة "محمّد" و قد ذكرت فيها لفظة "محمّد" غير مقترنة بلفظة "رسول"، و هو أمر حدث مرّة واحدة في القرآن كلّه و لكن، فلنلاحظ جيّدا ما جاء بعد "محمّد". لقد جاءت عبارة: "و هو الحقّ من ربّهم" و هذه الزيادة في رأيي كافية شافية، وتشريف من الحقّ تعالى لرسوله و طمأنة له أنّ ما نُزّل عليه "حقّ من ربّك" و له دلالات عديدة منها:

- إشارة إلى أنّ كلّ ما يقوله محمّد ﷺ حقّ مطلق لا يحتمل الظنّ أو التّشكيك أو غيره ممّا ادّعاه المشركون و الملحدون و أهل الشّبهات..

- تأييد و تقوية و تمكين لرسوله ﷺ.

- جزاء المؤمنين بالله ثمّ بما نزّل على رسوله تكفير السيّئات و إصلاح البال.

خاتمة الفصل الأول:

هذا الفصل خصصته لصيغة "**يا أيها الرسول**" و حاولت مجتهدة أن أبين في المبحث الأول معنى الرسول و الرسالة لغة و اصطلاحا كما و أشرت إلى الفرق بين كلمتي رسول و نبي. أما في المبحث الثاني فقد فاشتمل البحث علي مواضع خطاب الله لرسوله بصيغة الرسالة دون النبوة و تتبعت الآيات التي شملت هذا الخطاب بدراسة تفسيرها و أسباب النزول.

ثم خصصت المبحث الثالث لتقصي أسرار اختيار هده الصيغة و الأهداف من ورائها. و عند إحصاء هذه الصيغة الخطابية في المصحف الكريم تفطنت إلى وجود آيات شملت لفظة "الرسول"تعريفا و تنكيرا في صيغ أخرى غير الخطاب، مقترنة مرة باسم محمد وتارة أخرى غير مقترنة به،مما دفعني إلى الوقوف أمام هده الآيات متسائلة عن مغزاها، و رأيت انه من الأهمية بمكان تتبع و تقصى هده النقطة و ابحث فيها قصد استجلاء أسرارها هي الأخرى لتكون تكملة للموضوع و احاطة بجوانبه. و في الأخير تمكنت من الوصول إلى بعض الحقائق منها: إجراء علاقة بين الرسول و التبليغ، و الوصول إلي حقيقة المقصود من لفظة الرسول و كيف أنها شاملة و متممة لمعناها تدور كلاهما في مدار واحد هو الدعوة و التبليغ. أكون وُفقت إلى ما رميت إليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــــل الثّاني:
خطاب القرآن الكريم للرّسول ﷺ بصيغة "يا أيّها النبـــيّ".

المبحـــــــث الأوّل:
تعريــف النبــوة و النبـــيّ

1-1- لغة.
1-2- اصطلاحا.
1-3- الوحي و النبوة.
1-4- محمّد ﷺ شخصيته و سيرته قبل البعثة.

المبحـــــــث الثّاني:
متى يُخاطــب الرّسول ﷺ بــ: "يا أيّــها النبـــيّ"؟

2-1- مواضع ذكر يا أيّها النبيّ في القرآن الكريم.
2-2- متى يخاطب محمّد ﷺ بلفظ "النبي"؟.

المبحـــــــث الثّالث:
أســرار صيغــة: "يا أيّــها النبـــيّ"؟

3-1- مختصات الأنبياء.
3-2- معاتبة الله لنبيّه بين الادّعاء و الاستقصاء.

المبحـــــــث الرّابع:
صيــغ أخرى غيــر الخطاب لــورود كلمــة "نبـــيّ".

4-1- الوقوف على الآية 81 من سورة آل عمران.
4-2- رسالة الرّسل جميعا: التوحيد / سورة الشّورى، الآيات: 13-14-15.

خاتمـــــة جزئيـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:تعريف النبوة و النبي

1.1 لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور نبأ النبأ: الخبر والجمع أنباء.

وإن لفلان نبأ أي خبرا وقوله عز وجل (عم يتساءلون؟ عن النبأ العظيم) النبأ[1] فقيل عن القرآن، وقيل البعث، وقيل أمر النبيﷺ وقد أنبأه إياه وبه، وكذلك نبأه، متعدية بحرف وغير حرف، أي أخبر، وحكى سيبويه: أنا أنبوك، على الإتباع وقوله: إلى هند متى تسلي تنبي، أبدل همزة تنبئ أبدا ألا صحيحا حتى صارت الهمزة حرف علة، فقوله تنبئ كقوله تقضى.

قال ابن سيده: والبيت هكذا وجد، وهو لا محالة ناقص، واستنبأ النبأ، بحث عنه، ونبأت الرجل ونبأني: أنبأته وأنبأني.....

أما الجوهري فقال: والنبي: المخبر عن الله، عز وجل، مكية لأنه أنبأ عنه، وهو فعيل، بمعنى فاعل، قال ابن بري: صوابه أن يقول بمعنى مفعل مثل نذير بمعنى منذ وأليم

فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ الخبر، لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر، قال: ويجوز فيه تخفيف الهمز وتحقيقه يقال: نبأ ونبأ وأنبا.

قال سيبويه ليس أحمد من العرب إلا ويقولك تنبأ مسلمة، بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية الخابية، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الحروف ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك.

قال: والهمز في النبي لغة رديئة، يعني لقلة استعمالها، لا لأن القياس يمنع من ذلك ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله ﷺ: وقد قيل يا نبيء الله، فقال له: لا تنبر باسمي، فإنما أنا نبي الله، وفي رواية: لست بنبيء الله ولكني نبي الله وذلك أنه، عليه السلام، أنكر الهمزة في اسمه فرده على قائله لأنه لم يدر بما سماه فأشفق أن يمسك على ذلك، وفيه شيء يتعلق بالشرع، فيكون بالإمساك عنه مبيح محظور، أو حاظر مباح، والجمع: أنبياء ونباء.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب من م إلى ج 6، دار المعارف، المكتبة الداخلية الجامعة الإسلامية.مادة نبأ

قال العباس بن مرداس: يا خاتم النباء إنك مرسل

بالخير كل هدى السبيل هداكا

إن إلا له ثنى عليك محبة

في خلقه، ومحمدا أسماكا.[1]

قال الجوهري : يجمع أنبياء، لأن الهمز لما أبدل وألزم الإبدال جمع ما أصل لامه حرف العلة كعيد وأعياد، على ما نذكره في المعتل قال الفراء:

النبي: هو من أنبأ عن الله، فترك همزه، قال: وإن أخذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا واشتقاقه من نبأ وأنبأ أي أخبر، قال: والأجود ترك الهمز، وسيأتي في المعتل.

ومن غير المهموز، حديث البراء فقلت: ورسولك الذي أرسلت، فرد علي وقال: ونبيك الذي أرسلت. قال ابن الأثير: إنما رد عليه يختلف اللفظان ويجمع له الثناء بين معنى النبوة والرسالة، ويكون تعديدا للنعمة في الحالتين، وتعظيما للمنة على الوجهين، والرسول أخص من النبي.

لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

ويقال: تنبأ الكذاب إذا ادعى النبوة، وتنبي كما تنبي مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبيين.

2.1 اصطلاحا:

إن مبدأ النبوة يعرض نفسه بفضل شاهده الوحيد- النبي- كظاهرة موضوعية مستقلة عن الذات الإنسانية التي تعبر عنه.

و المشكلة على وجه التحديد هي معرفة إذا كان الأمر يتعلق بأشياء ذاتية محضة أو بظاهرة موضوعية كالمغناطيس مثلا،فان وجود المغناطيسية ينكشف لنا بواسطة الإبرة الممغنطة التي

[1] - ابن منظور : لسان العرب من م إلى ي، ج6، دار المعارف، المكتبة الداخلية، الجامعة الإسلامية.

تجسم لنا كما و كيفا الحقائق الموضوعية لكننا لا نستطيع ملاحظة ظاهرة النبوة إلا من خلال شهادة النبي و في محتويات رسالته المتواترة المنزلة فالأمر يتعلق إذن بمشكلة نفسية من الناحية و تاريخية من ناحية أخرى و لنا أن نلاحظ و لا و قبل كل شيء أن بعث النبي ما ليس حدثا فردا بحيث يكون غريبا نادرا بل هو على العكس من ذلك ظاهرة مستمرة تتكرر.[1] بانتظام بين قطبين من التاريخ، من إبراهيم إلى محمد ﷺ، واستمرار ظاهرة تتكرر، بنفس الكيفية يعتبر شاهدا عمليا يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها، بشرط التثبت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل، ومع طبيعة المبدأ.

يتصل بهذا المعنى الآية الكريمة "**قل ما كنت بدعا من الرسل**"

إن حياة الأنبياء وتاريخهم يمنعاننا من أن نعدهم مؤمنين مندفعين دون تعقل، وبكل بساطة إلى الخوارق والمعجزات، أو أن تحكم بأنهم معتوهون بأصل خلقتهم، اختلت عقولهم وبصائرهم بنقائص مزمنة، فهم يمثلون- على العكس- الإنسان في أسمى حالات كماله البدني والخلقي والعقلي وشهاداتهم الاجتماعية تحظى في نظرنا بالثقة التي تستحقها.

ويمكن لي أن أسجل هنا مستوحية من كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي و رأيه **في خصائص النبوة:**

أولا:صفة القهر النفسي الذي يقصي جميع العوامل الأخرى للذات، بإلزام النبي في النهاية بسلوك معين ودائم.

ثانيا: حكم على أحداث المستقبل يمليه نوع من القهر الذي ليس له أي أساس منطقي.

ثالثا: استمرار مظاهر السلوك النبوية ، وتماثلها الظاهر والخفي عند جميع الأنبياء.

و يضرب صاحب الظاهرة القرآنية مثالا يستقيه من عقليته المصبوغة بالعلوم التجريبية عن مفهوم النبوة فيقول:" لو أتيح لعلماء الطبيعة أن يحملوا قطعة من الحديد على الكلام عندما تكون متعرضة للتأثير المغناطيسي لأسعدهم دون ريب إن يسألوها عن مجموعة من المعلومات الخاصة لحالتها الباطنة، بدلا من أن تتحول معلوماتهم آخر الأمر- كما هو الواقع- إلى فروض ليبرهن عليها الحساب بشكل قاطع".

[1] كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين – دار الفكر – دمشق ،1981طبعة منقحة و مكملة و مرتبة ترتيبا جيدا ص 93

ومع ذلك فإن النبي ذات يمكن أن تحدثنا عن حالتها الداخلية، ويمكن أن تبرهن عليها أولا لاقتناعه وتحققه الشخصي، وثانيا من أجل ما يسمى بالاقتصاد الخارجي، أو السياسة الخارجية لرسالته.

فإذا حدث أن جاءت نبوة فيجب أولا أن تعتبر كسبب يثير الاضطراب في ذات إنسانية ويدفعها دفعا لا سبيل إلى مقاومته نحو رسالة ما، لا تتضح دوافعها وأهدافها كحقائق محددة لهذه الذات.

ولهذا فإن معرفة النبي لهذه الظاهرة أساس لأية دراسة نقدية للموضوع، فيونس وارمياء ومحمد عليه الصلاة والسلام أفراد أرادوا أولا أن يتملصوا طواعية من دعوة النبوة، فقاوموا، ولكن دعوتهم استولت عليهم أخيرا، فمقاومتهم تدل على التعارض بين اختيارهم والحتمية التي تطوق إرادتهم، وتتسلط على ذواتهم، وفي هذه الدلائل قرينة قوية للنظرية الموضوعية عن الحركة النبوية."[1]

أما البيهقي فيربط صحة النبوة بثبوت سماوية الوحي كما يري أن حقيقة كل منهما تأكيد و بيان لحقيقة الأخر حيث يقول:" كذلك لا بدّ من الإشارة إلى استحالة الفصل بين القرآن كوحي و بين محمّد ﷺ كنبيّ مُرسَل، فالذي يجري من الدّلالة على صحّة أيّهما يجري على الآخر، بمعنى أنّه لو تحقّق لأحد في الشّرق أو في الغرب ثبوت صحّة النّبوّة بدلائل غير قرآنية لوجب لديه أيضا و بالضّرورة ثبوت سماوية القرآن، كذلك بفرض أنّه تحقّق لأحد ثبوت سماوية القرآن بدلائل قرآنية صرفة غير واصلة بالسّيرة للّزم أيضا و بالضّرورة ثبوت صحّة نبوته".[1]

3.1 الوحي والنبوة:

إن الاعتقاد بالوحي والنبوة يصدر عن نوع من النظرة للعالم والإنسان، أي أنه أصل الهداية، العامة في جميع أنحاء الوجود، وأن أصل الهداية العامة يلازم النظرة التوحيدية الإسلامية للعالم، ولذا فإن أصل النبوة يلازم هذه النظرة للعالم.

ولهذا فقد استخدم القرآن كلمة "الوحي" في مورد الهداية الإنسانية، وهداية الجمادات والنباتات والحيوانات.

---

[1] - البيهقي، دلائل النّبوة، تحقيق عبد الرّحمان محمّد عثمان، ج1، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع، ط2 1983. ص76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن أرقى درجات الوحي هي التي تكون للأنبياء ويكون هذا الوحي علــى أســاس نــوع البشر إلى الهداية الإلهية والذين يهدون البشر- من جهة- إلى مقصود مــا وراء المحــسوسات والماديات، ويكون الممر البشر شاء أم أبى، ومن جهة أخرى يسد حاجة البــشر فــي الحيــاة الاجتماعية التي تحتاج دائما إلى القانون الذي له ضمان إلهي، فالبشر في حاجة إلى فكرة تبعث على الكمال لعجزه عن تنظيم فكرة صحيحة وتدوينها.

والأنبياء هم كجهاز اللاقطة الذي وضع في هيكل البشرية وهم أشخاص مصطفون لهــم صلاحية التقاط هذا النوع من الوعي من عالم الغيب، ولا يعلم هذه الصلاحية إلا الله.

يقول الله عز وجل في كتابه : "الله أعلم حيث يجعل رسالته"

ومهما كانت ظاهرة الوحي خارجة عن منطقة حس الأفراد وتجربتهم بصورة مباشــرة، فإنه من الممكن معرفة هذه القوة عن طريق آثارها كالكثير من القوى الأخرى.

ويترك الوحي الإلهي أثرا عظيما وعميقا على شخصية حامل الوحي أي شخصية النبي، وتجعله مبعوثا في الحقيقة، أي يثير قواه ويحدث فيه تطورا عظيما وعميقا ويتم هــذا التطــور باتجاه خير البشرية ونموها وصلاحها، ويعمل بنظرة واقعية ويهب له حزما وتصميما منقطــع النظير، ولم يشر التاريخ أبدا إلى حزم كحزم الأنبياء والأشخاص الذين أثيروا بواسطتهم.[1]

4.1 محمد ﷺ شخصيته و سيرته قبل البعثة:

ولد سيد المرسلين ﷺ بشعب بني هاشم بمكة المكرمة في صبيحة يوم الاثنين التاسع من شــهر ربيع الأول عام من حادثة الفيل وأربعون سنة خلت من ملك كسرى أنو شروان ويوافق ذلــك من شهر أبريل سمة 571 م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوزي- رحمــه الله[2]. وقد عُرف عن ولائه ﷺ الكثير من المعجزات والبركات المعروف في كتب التاريخ ممــا لا يمت برأي بكبير صلة إلى بحثي.

ولعل مما يفيد في بحثي هذا، أن أورد هذه الشهادة لراهن نصراني يدعي **بحيري الراهب** أرى أنها توثق كما تخص بنوبة ورسالته يقول صاحب كتاب الرحيق المختوم في هذه القصة.

1- مطهري مرتضى: الوحي والبنوة، ص 7.

2-[2]-المباركفوري صفي الرحمان الرحيق المختوم دار البيان العربي الطبعة 17 1426هـ 2005م ص141.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

"ولما بلغ رسول الله ﷺ اثني عشر سنة قيل وشهرين وعشرة أيام ارتاح به أبو طالب تاجر إلى الشام حتى وصل إلى بصرى وهي معدودة من الشام وقصبة لحران وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان. وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرى واسمه فيما يقال جرجيس فلما نزل الركب خرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك فجعل يتخللهم حتى جاء بيدي رسول ﷺ وقال هذا السير العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة الله للعالمين.

فقال له أبو طالب وأشياخ قريش: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقى حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدون إلا نبي وغني أعرف بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا لنجده في كتبنا ثم أكرمهم بالضيافة وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به على الشام خوفا عليه من الروم واليهود فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة[1]

كان النبي ﷺ قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات وكان طرازا رفيعا من الفكر الصائب والنظر السديد ونال حظا وافرا من حسن الفطنة و أصالة الفكرة وسداد السيولة والهدف وكان يستعين بصمته كالطويلة على طول التأميل وإدمان الفكرة و استكناه الحق وطالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوال الجماعات فعاف ما سواها من خرافة ونأى عنها ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم فما وجد حسنا شارك فيه وإلا عاد إلى عزلته العتيدة فكان لا يشرب خمرا ولا يأكل مما يذبح على النصب ولا يحضر للأوثان عيدا ولا احتفالا بل كان من أول نشأته نافرا من هذه المعبودات الباطلة حتى يكن شيء أبغض إليه منها وحتى كان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزّى".[2]

إن شخصا هذه صفاته وهذا جوهره قد صانه الله من الخطأ وقاد خطاه نحو الحق وأنار قلبه بنوره، فعاد يرى بنور الله وبصبره لحقيق بأن يختار لحمل الرسالة فإن كانت هذه حالة قبل النبوة والتي هي رسالة شخصية إن صحة تسميتها تكون المرحلة التي تسبق الرسالة والتبليغ.

ويتابع صاحب الرحيق المختوم حديثة عن شخص الرسول ﷺ قبل البعثة (النبوة) قائلا: "ولا شك أن القدر حاطه بالحفظ فعندما ما تتحرك نوازع النفس لا تستطيع بعض متع الدنيا

---

[2]- المباركفوري صفي الرحمان، الرحيق المختوم، دار البيان العربي، الطبعة 17، 1426ه 2005م.ص150

وعندما يرضى باتباع بعض التقاليد غير المحمودة تتدخل العناية الربانية للحيلولة بينه وبينها رسول الله ﷺ:" ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته. قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: "لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال: أفعل فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة... ثم ما هممت بسوء" [1]

كان النبي ﷺ قبل النبوة وكما وصفه عائشة:" القرآن يمشي" كما قالت: كان خلقه القرآن.

فقد كان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبة وأخلاق فاضلة وشمائل كريمة فكان أفضل قومه مروءة ﷺ: يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعني عن نوائب الحق.[2]

وعموما تنقسم حياة رسول الله ﷺ بعد أن شرفه الله بالنبوة والرسالة إلى عهد يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز هما:

أ-العهد المكي: ثلاث عشر سنة تقريبا.

ب-العهد المدني: عشر سنوات كاملة.

ثم يشتمل كل من العهدين على عدة مراحل لكل مرحلة منها خصائص تمتاز بها عن غيرها يظهر ذلك بعد النظر الدقيق في الظروف التي مرت بها الدعوة خلال العهدين.

ويمكن تقسيم العهد المكي إلى ثلاث مراحل:

1-مرحلة الدعوة السرية ثلاث سنوات

2-مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرة ﷺ إلى المدينة.

1- المرجع السابق.

2-المرجع السابق ص 69.

3-مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم من أواخر السنة العاشرة من النبوة وقد شملت العهد المدني وامتدت إلى آخر حياته ﷺ.

المبحث الثاني: متى يخاطب الرّسول ﷺ بـــ:"يا أيها النبي" ؟

1.2 مواضع ذكر "يأيها النبي " في القران الكريم :

في مطلع الآيات (13) و هي مذكورة في الجدول الذي خصّصناه لهذا الشّأن (انظر الفصل الأول و أوّلها سورة الأنفال (3 مواضع) و هي في غزوة بدر:

سورة الأنفال:

1- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾.[الأنفال 64]

2- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ [الأنفال 65].

أخبرنا أبو بكر بن الحرث قال: أخبرنا أبو الشّيخ الحافظ قال: حدّثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق قال: حدّثنا صفوان بن المغلّس قال: حدّثنا إسحاق بن بشر قال: حدّثنا خلف بن خليفة عن ابن هشام الرمّاني عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة و ثلاثون رجلا، ثمّ إنّ عمر أسلم فصاروا أربعين، فنزل جبريل عليه السّلام بقوله تعالى: "يا أيّها النبيّ حسبك الله و من اتّبعك من المؤمنين."

ملاحظة:

هذا ما ورد في تأويل أسباب النّزول و لم أجد عن الآية 65 شيئا.

3- يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ [الأنفال 70].

قال الكلبي: نزلت في العبّاس بن عبد المطّلب و عقيل بن أبي طالب و نوفل بن الحرث، و كان العبّاس أسر يوم بدر و معه عشرون أوقية من الذّهب كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها النّاس، و كان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، و لم يكن بلغته التّوبة حتّى أسر، فأخذت معه و أخذها رسول الله ﷺ منه، قال: "إمّا شيء خرجت تستعين به علينا فلا، و كفلني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضّة، فقلت له: تركتني و الله أسأل قريش بكفي و النّاس بقيت، قال: فأين الذّهب الذي دفعته إلى أمّ الفضل مخرجك إلى بدر و قلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك و لعبد الله و الفضل و قثم، قال: قلت و ما يدريك؟ قال: أخبرني الله بذلك، قال: أشهد أنّك لصادق و إنّي قد دقعتُ إليها ذهبا و لم يطّلع إليه أحد إلاّ الله، فأنا أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، و أنت رسول الله، قال العبّاس: فأعطاني الله خيرا ممّا أخذ منّي، كما قال: عشرين عبدا كلّهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية، و أنا أرجو المغفرة من ربّي.

سورة التّوبة:

المواضع: آية واحد، رقم: 73.

قال تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣

ملاحظة:

لم يرد سبب نزول هذه الآية في هذا الكتاب.

سورة الأحزاب

- الآية الأولى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١.

نزلت في أبي سفيان و عكرمة بن أبي جهل و أبي الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي و قد أعطاهم النبيّ ﷺ الأمان على أن يكلّموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح و طعمة بن أبيرق فقالوا للنبيّ ﷺ و عنده عمر بن الخطّاب: ارفض ذكر آلهتنا اللاّتي و العزّى و مناة و قل إنّ لها شفاعة و منفعة لمن عبدها و ندعك و ربّك، فشقّ على النبيّ ﷺ قولهم، فقال إنّي قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله و غضبه، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة.

- الآية رقم 28: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

- الآية رقم 45: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

لم يرد سبب نزول هاتين الآيتين عند النيسابوري.

- الآية رقم 50: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

ملاحظة:

لم يرد سبب نزول هده الآيات عند النيسابوري.

- الآية رقم 59: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

أخبرنا سعيد بن محمّد بن المؤذّن قال: أخبرنا أبو علي الفقيه قال: أخبرنا أحمد بن الحسين بن الجنيد قال: أخبرنا زياد بن أيوب قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبي مالك قال: كانت نساء المؤمنين يخرجن باللّيل إلى حاجاتهنّ و كان المنافقون يتعرّضون لهنّ و يؤذوهنّ، فنزلت هذه الآية.

و قال السدّي: كانت المدينة ضيّقة المنازل، و كان النّساء إذا كان اللّيل خرجوا فقضين الحاجة و كان فسّاق من فسّاق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حرّة فتركوها، و إذا رأوها بغير قناع قالوا هذه أمة فكانوا يراودونها.

سورة الممتحنة:

- الآية 12: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾.

ملاحظة:

لم أجد في أسباب النّزول للنّيسابوري ذكرا لهذه الآية.

سورة الطّلاق:

- الآية الأولى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

روى قتادة عن أنس قال: طلّق رسول الله حفصة، فأنزل الله تعالى هذه الآية و قيل له راجعها فإنّها صوّامة قوّامة و منإحدى أزواجك و نسائك في الجنّة.

و قال السدّي: نزلت في عبيد الله بن عمر و ذلك أنّه طلّق امرأته حائضا، فأمره رسول اللهﷺ أن يراجعها و يمسكها حتّى تطهر و تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلّقها إن شاء قبل أن يجامعها، فإنّها العدّة التي أمر الله بها.

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب بن أحمد الشالِنجي، أخبرنا أبو عمر بن أحمد الحيري، أخبرنا محمّد بن ديجونة، أخبرنا عبد العزيز بن يحي، أخبرنا اللّيث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أنّه طلّق امرأته و هي حائض تطليقة واحدة، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثمّ يمسكها فحتّى تطهر و تحيض عنده حيضة أخرى ثمّ يمهلها حتّى تطهر من حيضتها، فإن أراد أن يطلّقها فيطلّقها حتّى تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدّة التي أمر الله تعالى أن تطلّق لها النّساء.

سورة التّحريم: الآيات (1 – 9).

– الآية الأولى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ ۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ۝٥.

قوله عزّ و جلّ: الآية: أخبرنا محمّد بن محمّد بن المنصور الطّوسي، أخبرنا علي بن عمر بن المهدي، أخبرنا الحسين بن إسماعيل العاملي، أخبرنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثني إسحاق بن محمّد، أخبرنا عبد الله بن عمر قال: حدّثني أبو النّظر مولى عمر بن عبيد الله عن علي بن العبّاس عن ابن العبّاس عن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ بأمّ ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت: لِمَ تدخلها بيتي؟ ما صنعت بهذا من بين نسائك إلاّ من هواني عليك، فقال لها: لا تذكري هذا لعائشة، هي عليّ حرام إن قربتها. قالت حفصة: و كيف تحرم عليك و هي جاريتك؟ فحلف لها ألا يقربها و قال لها: لا تذكُريه لأحد، فذكرته لعائشة فأبى أن يدخل على نسائه شهرا و اعتزلهنّ تسع و عشرين ليلة، فأنزل الله تبارك و تعالى: لِم تحرّم ما أحلّ لك. الآية.

كما توجد رواية ثانية لهذه الآية:

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا بشر بن أحمد بن بشر، أخبرنا جعفر بن الحسن الفريابي، أخبرنا منجاب بن الحارث، أخبرنا عليّ بن مسهر، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحبّ الحلواء و العسل، و كان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فدخل على حفصة و احتبس عندها أكثر ممّا كان يحتبس، فعرفت فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكّة عسل، فسقت منه النبيّ ﷺ شربا، قلت: أما و الله لنحتال له، فقلتُ لسودة بنت زمعة: إنّه سيدنو منك، إذا دخل عليك فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافير، فإنّه سيقول لك سقتني حفصة شربة عكة، فقولي حدست نحله العرفط، و سأقول ذلك و قولي أنت يا صفية ذلك، قالت: تقول سودة: فو الله ما هو إلاّ أن قام على الباب فكدتُ أن أبادِئه بما أمرتِني به، فلمّا دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلتَ مغافير؟ قال لا. قالت: فما هذه الرّيح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل، قالت: جرست نحله العرفط، قالت: فلمّا دخل عليّ قلت له مثل ذلك، فلمّا دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلمّا دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. تقول سودة: سبحان الله، لقد حرمناه، قالت لها: اسكتي. رواه البخاري عن فرقد و رواه مسلم عن سويد بن سعيد كلاهما عن عليّ بن مسهر.

أخبرنا أبو عبد الرّحمان بن أبي حامد، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا الحسين بن محمّد بن مصعب، أخبرنا يحي بن حكيم، أخبرنا أبو داود، أخبرنا عامر الجزاز عن أبن أبي مليكة أنّ رسول الله ﷺ يأتيها في غير يومها يصيب من ذلك العسل، و كانت حفصة و عائشة متواختين على سائر أزواج النبيّ، فقالت إحداهما للأخرى: ما ترين إلى هذا؟ قد اعتاد هذه يأتيها في غير يومها يصيب من ذلك العسل، فإذا دخل عليّ فخذي بأنفك، فإذا قال ما لك؟ قولي: أجد منك ريحا لا أدري ما هي، فإنّه إذا دخل عليّ قلت مثل ذلك، فدخل رسول الله ﷺ، فأخذت بأنفها فقال: ما لك؟ قلت: ريحا أجد منك يوما و ما أراه إلاّ مغافير، و كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يأخذ من الرّيح الطيّبة إذ وجدها، ثمّ إذا دخل على الأخرى فقالت له مثل ذلك، فقال: لقد قالت لي هذا فلانة، و ما هذا إلاّ من شيء أصبته في بيت سودة، و والله لا أذوقه أبدا. قال ابن أبي

مليكة: قال ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في هذا –يا أيّها النبيّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضاة أزواجك.–

قوله تعالى: "إن تتوبا إلى الله." الآية. أخبرنا أبو منصور المنصوريّ، أخبرنا أبو الحسن الدّارقطني، أخبرنا الحسن بن إسماعيل، أخبرنا عبد الله بن شبيب قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن عبد العزيز قال: وجدتُ في كتاب أبي عن الزّهريّ، عن عبيد بن عبد الله عن ابن عبّاس قال: وجدتْ حفصة رسول الله ﷺ مع أمّ إبراهيم في يوم عائشة فقالت: لأُخبرنّها، فقال رسول الله ﷺ: هي عليّ حرام إن قربتها، فأخبرتُ عائشة بذلك، فأعلَم الله رسوله ذلك، فعرّف حفصة بعض ما قالت، فقالت له: من أخبرك؟ قال: نبّأني العليم الخبير. فآلى رسول الله ﷺ من نسائه شهرا، فأنزل الله تبارك و تعالى: "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما." الآية.[1]

– الآية 9 من سورة التّحريم: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾.

ملاحظة:

لم يرد لها سبب نزول عند النّيسابوري.

من خلال استعراض هذه الآيات الكريمة و أسباب نزولها من كتاب "أسباب النّزول" للنّيسابوري، يتبيّن لنا جليا عدّة استنتاجات نظنّ، و الله أعلم، أنّها أقرب إلى الحقيقة، و من هذه الاستنتاجات ما يلي:

1– أنّ الله سبحانه و تعالى لم ينقص من شأن رسوله عنده بمخاطبته إياه بـــ: "**يا أيّها النبيّ**" و لا قرّبه إليه و لا فضّله بمناداته إياه بـــ: "**يا أيّها الرّسول**"، إنّما مكانته ﷺ ثابتة محفوظة عند ربّه في كلّ الحالات، و قد عبّر له عن ذلك مرارا في آيات قرآنية ثابتة، منها مثلا لا حصرا: "و إنّك لعلى خلق عظيم." و "و لسوف يعطيك ربّك فترضى." و "و إنّك بأعيننا." و "لا تحزن إنّ الله معنا." و "و إنّ لك لأجرا غير ممنون." إلى آخر ذلك و ما أكثرها، بل لا تكاد سورة قصُرت أو طالت أن تحتوي تلك المعاني و الدّلالات الموحية إلى الرّسول

[1] – المرجع السّابق، ص 247 – 248.

النبيّ ﷺ بحبّ الله له و تفضيله و حفظه و طمأنته و مواساته و تقويته و تثبيته و نصرته و شفاء غليله و إذهاب غيظه من أعدائه و تصبيره و غير ذلك.

و إنّما كانت النّبوة و الرّسالة متلازمتين في شخص الرّسول ﷺ طيلة حياته، فما تفسير قوله تعالى في بعض آياته مخاطبا نبيّه: "و ما كنتَ إلاّ رسولا نبيا.".

2- إنّ اللّوم أو التّأنيب، إذا انطلقنا من منطلقات أصحاب هذا الرّأي أو غيره و سمّيناه بمسمّياتهم قد نفهمه أو نستشفّه من خلال قوله تعالى في الآية 67 من سورة المائدة:" **يا أيّها الرّسول** ... و إذا لم تفعل فما بلّغتَ رسالته." أليس من أساليب الخطاب المنفيّ غرض اللّوم و التّثريب، و القول يحتمل الوجهين، فأمّا أوّلهما فكأنّه قال له: فإن لم تفعل ما أمرتك به من تبليغ لرسالتي فكأنّك عصيتني بخوفك من النّاس، و قد ضمنتُ لك الأمان و عصمتُك من شرّهم.

أمّا الاحتمال الثّاني فأظنّ كأنّه يقول له: إن لم تصدع بما أمرتك به الآن و هو تبليغ رسالتي فلا داعي لأن تبلّغها فيما بعد، فالأمر لا يحتمل الانتظار أو التّأجيل لأيّ سبب من الأسباب، ألستُ قد عصمتُك؟ فماذا تنتظر؟.

2.2 متى يخاطب محمد ﷺ بلفظ "النبي" ؟ :

يقول الكاتب: أقول للأستاذ فوزي فراج:

قلت في موضوع تشريع النبي: " أما التشريع الذي يرتبط بلفظ "**النبي**" فهذا موضوع يطول البحث فيه، ونوجزه فيما يلي" والإيجاز فيه جعل كلامي غير واضح، وسأتعرض له بالتفصيل فيما بعد في مقال مستقل.

أما الآن فلا بأس من بعض التوضيح فأقول:

-لا يوجد فرق بين التشريعين طالما تأتي في التشريع الخاص بعصر النبي علة تشريعية تجعله صالحا للتطبيق في عصر آخر....

وقد يأتي تشريع مرتبطا بمصطلح "**النبي**" ولكنه يصلح للتطبيق بعده طبقا لوجود علة التشريع مذكورة في سياق التشريع نفسه، كقوله تعالى في سورة الأحزاب 59: يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ

قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ الأمر التشريعي هنا هو " يدنين عليهن من جلابيبهن".

وعلة التشريع هنا هي قوله تعالى: " ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذن" فالمحتشمة في ملابسها لا تشجع الماجنين على التعرض لها. وقوله تعالى " يدين عليهن من جلابيبهن" يعني تغطية ساقي المرأة، وهذا ما قد سبق في سورة النور الإشارة إليه بأن زى المرأة كان يعني تغطية ساقيها " النور 31:وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وزيادة في

التوضيح أقول: إن قوله تعالى في سورة النور: " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" النور 31.

هو أمر جاء في الرسالة أو القرآن وقد قلت2في كتاب " **القرآن وكفى**" إن كلمة " الرسول" تأتي أحيانا بمعنى القرآن أو بمعنى الرسول محمد الذي ينطلق بالقرآن ويأمر به ويحكم به، والآية السابقة من سورة النور وما قبلها أكبر دليل على هذا : يقول جل وعلاه " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون....الخ الآية النور 30".

الأمر بـ: " قل" جاء له بوصفه **رسولا**. وهذا الأمر القرآني يسري في كل زمان ومكان طالما يوجد فيه مؤمنون[1]. وما أكثر الأوامر التي جاءت من الله لعباده على لسان رسوله الكريم بصيغة " قل" ولا يتسع مجال لذكرها الآن.

[1] – القرآن وكفى للكاتب: أحمد صبحي منصور، موقع أهل القرآن الإنترنيت في رده على الأستاذ سامر أبو علي دت.

هذا أمر عام جاء مرتبطا **بالرسول أي بالرسالة أي بالقرآن.**

في موضع آخر، جاء أمر للنبي مرتبط بعصره أن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين في عهده يدنين عليهن من جلابيبهن، أي أن تكون ملابسهن طويلة محتشمة.

الأمر هنا مرتبط تنفيذه بأزواج النبي وبناته ونساء المؤمنين في ذلك العصر هذا صحيح ولكن جاءت علة أو سبب في هذا التشريع الخاص/ فإذا وجدت هذه العلة في أي أمر، وجب تنفيذ ذلك التشريع الخاص على ذلك العصر الذي توجد فيه تلك العلة . العلة التشريعية هنا قوله تعالى " ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين".....

فحيث توجد العلة لابد من التطبيق، ولأن هناك آية أخرى تأمر بذلك وهي آية 30 من سورة النور: " ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن".

جاء مصطلح **الرسول** سابقا على مصطلحي " **النبي الأمي**" في قوله تعالى:

" الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف الخ....الآية 157، الأعراف".

وقلنا إن " **الرسول**" هو الذي يبلغ الرسالة أو هو الرسالة- أي القرآن، **والرسول بذلك** هو يحمل أوامر التشريع- وبذلك يجب طاعته فيما يحرم ويحلل.

ولقد قلت في كتاب " القرآن وكفى" والكلام للكاتب نفسه.

" **النبي**" هو شخص محمد بن عبد الله في حياته وشئونه الخاصة وعلاقته الإنسانية وتصرفاته البشرية.

ومن تصرفاته البشرية ما كان مستوجبا عتاب الله تعالى، لذا كان العتاب يأتي له بوصفه النبي.

قال تعالى: " **يا أيها النبي** لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات لأزواجك؟...".

-ويقول في موضوع أسري بدر " **ما كان لنبي** أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة" الأنفال 161.

-وحين استغفر لبعض أصحاب قال له ربه تعالى: " **ما كان للنبي** والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم " الأنفال 113.

-وعن غزوة ذات العسرة قال تعالى: " لقد تاب الله **على النبي** والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم....".

-وقال تعالى يأمره بالتقوى وإتباع الوحي والتوكل على الله وينهاه عن طاعة المشركين "**يا أيها النبي** اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما، واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعلمون خبيرا، وتوكل على الله...." الأحزاب 1-3.

كل ذلك جاء بوصفه النبي.

وكان الحديث القرآني عن علاقة محمد عليه السلام بأزواجه أمهات المؤمنين يأتي أيضا بوصفه "**النبي**": " **يا أيها النبي** قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا" الأحزاب 28..

"وإذا أسر **النبي** إلى بعض أزواجه حديثا " التحريم 3.

-وكان القرآن يخاطب أمهات المؤمنين، فلا يقول يا نساء **الرسول** وإنما " يا نساء **النبي** لستن كأحد من النساء الخ " الأحزاب 32.

" يا نساء **النبي** من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين.

-وكان الحديث عن علاقته بالناس حوله يأتي أيضا بوصفه **النبي** " **يا أيها النبي** قل لأزواجك...الخ " الآية الأحزاب 59.

-"**النبي**" أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم" الأحزاب /6.

-" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت **النبي** إلا أن يؤذن لكم " الأحزاب 53.

-"ويستأذن فريق منهم النبي يقولون، إن بيوتنا عورة " الأحزاب 13.

وهكذا هو شخص محمد البشري في سلوكياته وعلاقاته الخاصة والعامة، لذا كان مأمورا بصفته **النبي** بإتباع الوحي.[1]

[1] - المرجع السابق.

أما حين ينطق **النبي** بالقرآن **فهو الرسول** الذي تكون طاعته طاعة الله، قال تعالى: " من يطع **الرسول** فقد أطاع الله...، وما أرسلنا من **رسول** إلا ليطاع بإذن الله ".

-**والنبي** محمد بصفته البشرية أول من يطيع الوحي القرآني وأول من يطبقه على نفسه ....وهكذا ففي الوقت الذي كان "**النبي**" مأمورا باتباع الوحي جاءت الأوامر بطاعة "**الرسول**" أي **طاعة النبي حين ينطق بالرسالة والوحي أي القرآن "قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** " النور 54.

ولم يأت مطلقا في القرآن " أطيعوا الله **وأطيعوا النبي** " لأن الطاعة ليست لشخص **النبي**، وإنما **للرسالة أي للرسول**، أي لكلام الله تعالى الذي نزل على **النبي** والذي يكون فيه شخص **النبي** أول من يطيع...كما لم يأت مطلقا في القرآن عتاب محمد عليه السلام بوصفه **الرسول**.

ولكلمة **النبي** معنى محدد هو ذلك الرجل الذي اختاره الله من بين البشر لينبئه بالوحي ليكون نبيا. أما كلمة **الرسول** فلها في القرآن معان كثيرة هي:

-**الرسول** بمعنى جبريل: (إنه لقول رسول كريم، **ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم** أمين، وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين) التكوير 19: 23.

-**الرسول** بمعنى الملائكة: ملائكة تسجيل الأعمال " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون " الزخرف 80.

ملائكة الموت (حتى إذا جاءت رسلنا يتوفونهم قالوا ماذا كنتم تدعون من دون الله) الأعراف 37.

-**الرسول** بمعنى ذلك الذي يحمل رسالة من شخص إلى شخص آخر، كقول يوسف لرسول الملك " ارجع إلى ربك " في قوله تعالى: (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك) يوسف 50.

-**الرسول** بمعنى القرآن أو الرسالة، (وهو موضوع دراستنا هذه)، وبهذا المعنى يتداخل معنى الرسالة مع النبي الذي ينطلق بالوحي وينطبق ذلك على كل الأوامر التي تحدث على طاعة الله

ورسوله...فكلها تدل على طاعة الله الذي أنزله على رسوله وكان الرسول أول من نطـــق وأول من ينفذه ويطيعه.[1]

والرسول بمعنى القرآن يعني أن رسول الله قائم بيننا حتى الآن وهو كتاب الله الذي حفظه الله إلى يوم القيامة، نفهم هذا من قوله تعالى: وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

أي أنه طالما يتلى كتاب الله وهو قائم بيننا ومن يعتصم بالله وكتابه فقد هداه الله إلـــى الـــصراط المستقيم. ينطبق ذلك على كل زمان ومكان طالما ظل القرآن محفوظا، وسيظل محفوظا وحجة على الخلق إلى قيام الساعة.

-وكلمة **الرسول** في بعض الآيات القرآنية تعني القرآن بوضوح شديد كقوله تعالى: ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ فالآية تقرر حكما عاما مستمرا إلى قيام الساعة بعد وفاة محمد عليه السلام، فالهجرة في سبيل الله وفي سبيل رسوله- أي القرآن- قائمة ومستمرة بعد وفاة النبي محمد وبقاء القرآن أو الرسالة.

وأحيانا تعني كلمة "**رسول**" القرآن فقط وبالتحديد دون معنى آخر، كقوله تعالى في سورة الفتح آية 09: لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

فكلمة "رسوله" هنا تدل على كلام الله فقط ولا تدل مطلقا على معنى الرسول "محمد" والدليل الضمير في كلمة "رسوله" جاء مفردا تعالى (وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) والضمير المفرد يعني أن الله ورسوله أو كلامه ليسا اثنين وإنما واحد فلم يقل" وتعزروهما وتوقروهما وتسبحوهما بكرة وأصيلا، والتسبيح لا يكون إلا الله سبحانه وتعالى وحده، ولا فرق بين الله تعالى وكلامه، فالله تعالى أحد في ذاته وفي صفاته (قل هو الله أحد).

ويقول تعالى (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) التوبة 62 ولـــو كان الرسول في الآية يعني شخص النبي محمد قال تعالى: (أحق أن يرضوهما) ولكن هنا يعني فقط كلام الله لذا جاء التعبير بالمفرد الذي يدل على الله تعالى وكلامه.

---

[1] - المرجع السابق.

إذن فالنبي هو شخص محمد في حياته الخاصة والعامة، أما الرسول فهو النبي حـــين ينطـــق وحين يبلغ الوحي (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك، من ربك) المائدة 67.

وفي الوقت الذي يأمر الله فيه **النبي** باتباع الوحي، فإن الله تعالى يأمرنا جميعـــا وفينـــا **النبي**- بطاعة الله **ورسوله**، أي الرسالة، ولم يأت مطلقا "**ما على النبي** إلا البلاغ" وإنما جـــاء "**ما على الرسول** إلا البلاغ"(المائدة 99) فالبلاغ مرتبط بالرسالة كما أن معنى **النبـــي** مـــرتبط ببشرية **الرسول** وظروفه وعصره وعلاقاته.

المبحث الثالث: أسرار صيغة " يا أيها النبي"

يأخذ الخطاب الرباني للرسول ﷺ أشكالا عدة و يتراوح ما بـــين أغـــراض مختلفـــة تتناســـب و طبيعة الموقف و المقام ،ما بين أمر و نهي أو تأنيب و عتاب إلى غير ذلك من أغراضـــه. ولقد وجد منذ القدم إلى عصرنا هذا من يحاول القدح في هذا الدين و التعريض به مـــن خـــلال أوجه عدة و بطرق مختلفة ملتوية لا يتفطن إليها إلا من آتاه الله نور البصيرة ،

و من أمثال هؤلاء"المستشرقون" و ما قاله زعماؤهم حول مسألة الخطـــاب الربـــاني الموجـــه للرسول ﷺ بصيغة "**يا أيها النبي**"و وصفه إياه بخطاب توبيخي تقريعي من شأنه الحط من قيمة النبي المرسل ﷺ مما يقدح -على حد زعمهم- في رسالته و كفاءته التبليغية. و هذا ما سأحاول بإذن الله أن أعالجه بالدراسة و التحقق ، مبينة وجه الحقيقة من الادعاء حتى يزول اللبس مـــن عقول هؤلاء و من يتبعونهم ويتبنون آراءهم وقبل ذلك أري أنه من الأهميـــة بمكـــان و نحـــن بصدد الكلام عن النبوة و الأنبياء أن أخصص عنصرا نبين من خلاله مختصات النبوة بـــشكل عام و **التي تتوافر في سيدنا محمد ﷺ بصفته نبيا و رسولا.**

1.3 مختصات الأنبياء

يصنف الأنبياء بصورة عامة إلي قسمين: **الأول وهم الأقلية التي أوحى لكل منهم على استقلال سلسلة من القوانين والأحكام** وكلفوا بإبلاغ تلك القوانين إلى الناس وهـدايتهم بموجـب تلـك القوانين والأحكام.

ويدعى هؤلاء "الأنبياء" بتعبير القرآن الكريم "أولي العزم" ولم نعلم بصورة دقيقة عـددا الأنبياء أولي العزم لاسيما وأن القرآن الكريم يصرح بأنه قص قصص بعض الأنبياء فقط، وإذا كان القرآن قد قص قصص جميع الأنبياء و لو كان يدعى على الأقل بأن الأنبياء الكبـار قـد جاءت قصصهم في القرآن كان من الممكن أن يعرف عددا أنبياء أولي العزم مما قد جاء فـي القرآن، ولكن القدر المتبقي لدينا أن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء صـلوات الله عليهم كانوا من أنبياء أولى العزم وأصحاب الشرائع، وقد أوحى لكل منهم سلسلة من القـوانين والأحكام ليبلغوها إلى الناس ويهذبوهم على أساسها.

والقسم الثاني: هم الأنبياء الذين لم تكن لهم شرائع وقـوانين، بل كانوا مكلفين بتبليغ الشريعة والقوانين الموجودة في ذلك العصر وترويجها، وأكثر الأنبياء كانوا من هذا القسم، مثل هود وصالح، ولوط، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وهـارون، وزكريـاء، ويحيى.[1]

إن للأنبياء الإلهيين الذين يتصلون بأصل الوجود ومبدئه عن طريق الـوحي امتيـازات **ومختصات** نشير إليها الآن:

1-الإعجاز: يتمتع كل نبي يبعث من قبل الله بقوة خارقة، ويظهر بتلك القوة الخارقـة أثـرا أو آثار فوق قدرة البشر، والتي تسير إلى تمتعه بتلك الطاقة الإلهية الخارقة، وتشهد على صـدق دعوته وسماوية كلامه ويدعو القرآن الكريم الآثار الخارقة التي تبديها الأنبياء بإذن الله للدلالـة على صدق أقوالهم "**آية**" أي العلامة والدليل، ويسميها المتكلمون الإسلاميون "**معجزة**" لأن هـذه العلامات تظهر عجز سائر الأفراد وضعفهم، وينقل القرآن الكريم أن الناس في كل زمان كانو

1- مرتضى مطهري، الوحي والنبوة، مقدمة على النظرة الإسلامية للعالم ترجمة الأستاذ، عباس الترجمان، دار الحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2000 م -1420هـ. ص 96

يطلبون من الأنبياء "آية" و "معجزة" وكان الأنبياء يجيبون على هذا الطلب المعقـــول المنطقـــي بصورة إيجابية، لأن الطلب كان يتقدم من قبل أناس يبحثون عن الحقيقة.

وبدون ذلك لا يتسنى لهم معرفة نبوة ذلك النبي ولكن إذا كان طلب المعجـــزات يظهـــر لغرض آخر سوى البحث عن الحقيقة كالمعاملة مثلا بحيث يقال له: إذا قمت بالعمـــل الفلانـــي فإننا نتقبل دعوتك، فإن الأنبياء كانوا يستنكفون من ذلك، ويذكر القرآن الكريم للأنبياء معجزات كثيرة من إحياء الميت وشفاء المريض الذي لا علاج له.

إلى التكلم في المهد وتبديل العصا بالأفعى والإخبار بالغيب والمستقبل.

2-العصمة:

إن من جملة مختصات الأنبياء هي العصمة والعصمة تعني الصيانة من الذنب والخطـــأ. أي أن الأنبياء لا يقعون تحت تأثير أهوائهم النفسية ولا يرتكبون ذنبا ولا يخطئوه في أعمـــالهم. وتجنبهم هذه الأخطاء والذنوب يضفي عليهم أسمى مرتبة قابلية الاعتماد.

ولآن لنر كيف تكون هذه الصيانة، هل أنها بحيث عندما يريدون أن يرتكبوا ذنبـــا يـــأتي مأمور غيبي ويمنعهم من ذلك كالأب الذي يمنع ولده من الانزلاق (في المعاصي)؟

أو بهذه الصورة، وهي أن جبلة الأنبياء وطينتهم هي بصورة بحيث لا يتمكن منها الخطأ أو الاشتباه ، كما أن الملك لا يزني لأنه خال من الشهوة الجنسية، أو أن الآلة الحاسبة لا تخطئ لأنها لا ذهن فيها؟ .[1]

أو أن عدم ارتكاب الأنبياء للذنوب وعدم اشتباههم معلول لنوع مـــن نظـــرتهم ودرجـــة يقينهم وإيمانهم، وبالطابع فإن هذا الشق وحده هو الـــصحيح، والآن نـــذكر كـــلا مـــن هـــاتين الصيانتين على حدة.

1- مطهري، مرتضى،الوحي والنبوة.ص72

أ- الصيانة من الذنب:

إن الإنسان موجود مختار ويختار وأعماله على أساس المنـــافع والمـــضار والمـــصالح والمفاسد التي يميزها، لذا فإن للتمييز الدور المهم في اختيار الأفعال.

ومن المستحيل أن يختار الإنسان شيئا عديم الفائدة، أو أنه ضار من جهة أخـــرى بنـــاء على تمييزه- فمثلا- إن الإنسان العاقل الذي يهوى الحياة لا يرمي نفسه من الجبل عالمـــا ولا يتجرع السم القاتل.

إن الأشخاص يختلفون من ناحية الإيمان والانتباه إلى آثار الذنوب، فكلما كـــان إيمـــانهم أقوى وانتباههم إلى آثار الذنوب أكثر كان اجتنابهم عن الذنب أكثر وارتكابهم له أقل، وإذا كانت درجة الإيمان تصل إلى حد الشهود والعيان إلى الحد الذي يتصور الإنسان نفسه حين ارتكـــاب الذنب كالشخص الذي يريد أن يرمي نفسه من الجبل، أو أن يتجرع السم القاتل، فاحتمال اختيار الذنب هنا يصل إلى الصفر، أي أنه لا يتجه نحو الذنب أبدا.

ومثل هذه الحالة نسميها العصمة إذا، فالعصمة من الذنب ناتجـــة مـــن كمـــال الإيمـــان وصلابة التقوى، ولا ضرورة للإنسان في قوة خارجة تصده عن الذنب جبرا من أجل وصـــوله إلى حد "الصيانة" والعصمة من الذنب أو أن يكون الشخص المعصوم بحكـــم جبلتـــه وطبيعتـــه مسلوب القدرة. فإذا كان الإنسان لا يتمكن من ارتكابه للذنب أو أن قوة تصده عن الذنب دائما. فعدم ارتكابه للذنب لا يعتبر كمالا، لأنه يشبه الشخص السجين الذي لا يتمكن من المخالفة وعدم مخالفة مثل هذا الشخص لا يمكن أن تضعه في سجل الصدق والأمانة.

ب-أما الصيانة من الخطأ:

إن الصيانة من الخطأ وليدة نوع من نظرة الأنبياء أيضا. فالخطأ يحدث دائما من حيـــث يواجه الإنسان واقعه عن طريق الحس الباطني أو الخارجي، ويكون لها عـــدد مـــن الـــصور الذهنية في ذهنه، ويقوم بتحليلها وتركيبها بقوة عقلة، ويتصرف فيها بصور مختلفـــة فيخطـــيء أحيانا في مطابقة الصور الذهنية مع الواقعيات الخارجية، وفي ترتيب تلك الصور.

ولكن عند ما يواجه الإنسان مباشرة واقعيات عينية عن طريق حس خاص، وأن إدراك الواقع هو نفس الاتصال بالواقع، لا صورة ذهنية عن الاتصال بالواقع، فلا معنى للخطأ والاشتباه بعد ذلك.[1]

والأنبياء الإلهيون لهم اتصال بواقع في باطنهم، فلا يفترض الخطأ في نص الواقع.

3-اختلاف الأنبياء عن العباقرة:

ومن هنا يمكن الوصول إلى اختلاف الأنبياء عن العباقرة، فالعباقرة أشخاص لا يمتلكون طاقة تفكير وتعقل وتدبر قوية، أي أنهم يتصلون بالأشياء عن طريق حواسهم، ويعملون بقوة عقلهم المدبر حول معطيات أذهانهم والأنبياء الإلهيون بالإضافة إلى تمتعهم بقوة العقل والتفكير والتدبير الذهني مجهزون بقوة أخرى باسم (الوحي) والعباقرة لا يتمتعون بهذه القوة.

4-القيادة:

إن النبوة مع أنها تبدأ من المسيرة المعنوية إلى الله، والتقرب إلى ذاته والانقطاع عن الخلق (سير من الخلق إلى الحق) وهي تستلزم الانصراف من الخارج والاتجاه إلى الباطن. ولكنها تنتهي أخيرا بالعودة إلى الخلق والخارج لغرض (صلاح حياة الإنسان وتنظيمها. وهدايته في مسير صحيح".

ومعنى كلمة "**نبي**" في اللغة العربية- كما سبق ذكره- تعني: "المخبر" وفي الفارسية تعني كلمة "بيامبر" نفس المعنى، وكلمة "**الرسول**" في اللغة العربية هي "المبعوث".

فالنبي يبلغ الرسالة الإلهية إلى خلق الله، ويوقظ طاقاتهم ويوجهها ويدعو إلى الله وإلى ما يرضى الله أي إلى السلام والصفاء والإصلاح وعدم الإيذاء، والتحرر من غير الله، وإلى الصدق والاستقامة، والحب والعدالة وسائر الأخلاق الحسنة وينقذ البشرية من قيد إطاعة هوى النفس وأنواع الأوثان والطواغيت.

-يقول إقبال اللاهوري في حديثه حول اختلاف الأنبياء مع سائر الأشخاص الذين لهم سلوك معنوي إلى الله "العرفاء" ولكنهم بدون رسالة نبوة ويسميهم باسم "الرجل الباطني".

1- مطهري، مرتضى، يوحي والنبوة ص73.

"لا يريد الرجل الباطني بعد الراحة والاطمئنان الذي تحصل عليه في (السلوك المعنوي) العودة إلى حياة هذا العالم، ولكن عندما يعود بناء على الضرورة فإن عودته لا فائدة فيها لجميع البشرية،ولكن عودة النبي لها جانب إبداعي متميز، يعود ويدخل في مجرى الزمان لغرض السيطرة على مجرى التاريخ، وليبدع عالما جديدا من كمال المتطلبات عن هذا الطريق. والراحة بالنسبة للرجل الباطني هي المرحلة النهائية، وبالنسبة للنبي فإن يقظة قواه العارفة بالنفس هي التي تهز العالم، وإن هذه محسوبة ودقيقة إلى حد أنها تغير العالم البشري تماما.

وبناء على هذا فإن قيادة الناس وتنظيم القوى الإنسانية ودفعها للحركة باتجاه رضا الله وصلاح البشرية هي من ملازمات النبوة التي لا تنفك عنها.

5-إخلاص النية:

إن الأنبياء بحكم أن لهم سندا إليه ولم ينسوا أن على عاتقهم رسالة يؤدونها من قبل الله، ويقومون بعمله (هو) يخلصون غاية الإخلاص في عملهم، أي أنهم لا غاية لهم ولا هدف سوى هداية البشر وهي ما يريدها الله، ولا يريدون "أجرا" من الناس لإنجاز رسالتهم.

-وقد نقل القرآن الكريم في سورة الشعراء أقوالا كثيرة عن الأنبياء في مجابهة أقوامهم بصورة موجزة، وبالطبع فإن كل نبي كانت له رسالة خاصة إلى قومه تتناسب والمشكلة أو المشاكل التي يواجهها في طريقة، ولكن أحد المواضيع الذي تكرر في رسالات جميع الأنبياء هو : (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين – الشعراء آ 145.

لذا فإن الإخلاص وعدم الغاية الشخصية هما من مميزات النبوة، ولهذا السبب فإن رسالة الأنبياء تمتاز دائما بطابع "جازم" لا نظير له والأنبياء- بحكم أنهم يشعرون بأنهم مبعوثون وأنهم لا يخطر ببالهم أدنى شك في رسالتهم ووجوبها وفائدتها، يبلغون رسالتهم بجزم قاطع ويدافعون عنها بشكل لا يمكن العثور على مثله.

6-البناء:

إن الأنبياء الذين يحركون الطاقات وينظمونها، يكون ذلك لمجرد بناء الفرد وبناء المجتمع الإنساني، وبعبارة أخرى بقصد السعادة البشرية، ومن الممتنع والمستحيل أن يتم ذلك لغرض فساد المجتمع الإنساني أو فنائه، وإذا كانت دعوة مدعي النبوة تفسد الناس، وتبطل

طاقاتهم وتجرهم إلى الفحشاء والرذيلة، وفناء المجتمع وانحطاطه فهي الدليل القاطع على أن هذا المدعي غير صادق في دعوته، ولإقبال اللاهوري هنا قول قيم أيضا يقول: "والطريق الآخر للحكم حول قيمة تجربة دينية يقوم بها نبي أي (كون رسالته حقيقية، واتصاله الباطني بالله واقعيا) هو تجربة أنواع الإنسانيات التي أوجدها، والاهتمام أيضا بذلك العالم هو الثقافة والمدنية التي نبعت من رسالته)."[1]

من كتاب إحياي فكر ديني دار إسلام ص 144.

7-النزاع والجهاد:

إن النزاع مع الشرك والخرافات والجهل والتخيلات والمظالم والجوع وأحد العلائم الأخرى لصدق نبوة مدعي النبوة. أي من المستحيل أن ينتخب شخص نبيا واقعيا من قبل الله ويشم في رسالته رائحة الشرك، أو أنه يسارع إلى مساعدة الظالم، أو أنه يؤيد الظلم وعدم العدالة، أو أنه يسكت أمام الشرك والجهل والخرافات والمظالم ولا يشن الحرب لمجاهدتها.

إن التوحيد والعقل والعدل من أصول دعوة جميع الأنبياء.

8-الجانب البشري:

إن الأنبياء بكل جوانبهم الخارقة للعادة من قبيل المعجزة والعصمة من الذنب والعصمة من الخطأ، القيادة المنقطعة النظير البناء الفريد نزاعهم المنقطع النظير مع الشرك والخرافات والمظالم فهم من جنس البشر أي أنهم يمتلكون كل مستلزمات البشرية، يأكلون وينامون ويمشون ويتوالدون وبالتالي يموتون كالآخرين وتتوفر فيهم جميع الحاجات المستلزمة للبشرية.

والأنبياء مكلفون كالآخرين وتشملهم التكاليف التي يقومون بتبليغها للبشر، والحرام والحلال موجود بالنسبة لهم أيضا ويكلفون أحيانا بتكاليف أشد كما كان التهجد في أواخر الليل ونافلة الليل واجبا على الرسول الكريم ﷺ.

ولا يستثني الأنبياء أنفسهم من التكاليف أبدا، ويخافون الله كالآخرين أو أشد خوف ويعبدون الله أكثر من الآخرين ويؤتون الزكاة ويحسنون لعباد الله ويسعون من أجل حياتهم وحياة الآخرين ولا يكونون عالة على الآخرين والفرق بين الأنبياء والآخرين هو في موضوع

الوحي ومقدماته ولوازمه فقط. والوحي لا يخرج الأنبياء من البشرية، بـل يجعلهـم نموذجـا للإنسان الكامل وأسوة للآخرين.

ولهذا السبب يكونون قادة للآخرين وطلائعهم.[1]

2.3 معاتبة الله لنبيه بين الادعاء والاستقصاء:

أثار بعض المستشرقين الذين لا يحلو لهم إلا الطعن في هذا الدين كثيرا من القضايا والـشبهات حول الإسلام والمسلمين. واتهموه بعديد من الأباطيل منها ما يخص العقيدة، ومنها مـا يمـس التشريع ومنها ما يحوم حول سيرة الرسول ﷺ ويلم وحياته الخاصة وشـككوا فـي مـصداقية الوحي والنبوة، ولم يتركوا مجالا إلا خاضوا فيه بغرض النيل من حرمة الإسلام وزرع الـشك في نفوس المسلمين، والمجال لا يتسع هنا لذكر كافة ما جادت به قرائحهم لأن الموضوع الذي نتناوله بالبحث اليوم ليس استقراءا لكل ذلك وإنما لمسألة واحدة تتمثل في: **أن النبي ﷺ لم يكن على صواب في أشياء قام بها على حد زعمهم حتى استحق عتاب الله لـه وتأنيبـه، وهـذا بمخاطبته بعبارة (يا أيها النبي)**. وقد سال فيها مداد هؤلاء ما طاب له أن يسيل، ولكنـا نتخـذ موقفا منصفا محاولين إحقاق الحق بالأدلة العلمية الشرعية غير منقادين لعاطفة اللهـم عاطفـة الإيمان والغيرة لهذا الدين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكي نبـرهن علـى الحق بالحق، لا على الباطل بالحق كما يفعل هؤلاء على غرار: "كلمة الحق أريد بهـا باطـل نقول: إن الآيات التي استخدمها هؤلاء كنص أو كدليل على ما ذهبوا إليه وهي:

1-فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ (سورة محمد 19)

2-وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ (سورة الإسراء 75/74).

1- مطهري مرتضى، الوحي والنبوة، مقدمة على النظرة الإسلامية للعالم، ترجمة الأستاذ عباس الترجمان، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، 2000م، 1420 هـ.ص74

وقوله سبحانه وتعالى معاتبا إياه بعد أن أخذ أسرى في غزوة بدر وجعل فـــداءهم مـــن الأسر تعليم المسلمين القراءة والكتابة.

3-مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ (سورة الأنفال 67).

وما قيل عن بكاء رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية إلى آخر الآيات التـــي يعاتـــب الله سبحانه وتعالى رسوله فيها والتي يستخدمها أولئك الذين يريدون الطعن في هذا الدين كوســـيلة للتخطؤ وإظهار أن النبي ﷺ لم يكن على صواب.

إن تلك الآيات الكريمات وهي غيض من فيض وهي كلام الله المنزل يقينا على رســـوله لم تكن أبدا لتقص من قدره العالي أو تمس بشأنه العظيم عند العظيم كيف؟ وهو الذي أثنى عليه قائلا: "**وإنك لعلى خلق عظيم**" كيف؟ وهو الذي فتح ونصره وأيده .ألا يعاتب الوالد الحنون ولده حبا وخوفا عليه؟ بل إن الذي لا يعاتب أبدا هو من لا يهمه أمر المعاتب لا من بعيـــد ولا مـــن قريب. ألا نعرف المكتل الفرنسي الشهير:" و يحب حقا يعاقب حقا العقاب" أما من الأدلة العلمية الموضوعية الموصفة، فلنا أن نورد إذا شئنا تفاسير القرآن المختلفة لهذه الآيات، ولآيات أخرى تبين أن العتاب كان مجرد تذكير وتنبيه لعبد مكلف بنشر رسالة ربانية خالدة معرض لارتكـــاب بعض الهفوات قصدا من الله تعالى لتكون سببا في نزول تشريع أو نسخ آخر ولنا كدليل علـــى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في أول سورة "عبس" قال تعـــالى:"**عـــبس وتـــولى أن جـــاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى**" لو لم يتصرف النبي هـــذا التـــصرف البشري الفطري مع هذا الرجل كيف كان له أن يتعلم عكسه؟ وكيف كان لـــه أن يـــتعلم فـــن وآداب التعامل مع أي رجل جاء يسأله. كيف لو لم ينزل الله بشأنه هذا التنبيه وهو من هو إلـــه خالق ومعبود كامل ،ورسوله بشر ضعيف ومخلوق معرض لتداعيات نفسه تجذبه تارة وتطلقـــه أخرى، أليس بشرا أليس مفتقرا إلى التصويب الإلهي. هكذا ليتربى أكثر فأكثر ويتـــأدب حتـــى يصل إلى مستوى الرسالة الملقاة على عاتقه "وكذلك لنثبت به فؤادك"

- "**ولقد كدت تركن إليهم لو لا أن ثبتناك**"
- "**فإنك بأعيننا**"

وما أكثرها تلك الآيات التي تابع فيها الله رسوله ﷺ متابعة دقيقة حتى بناه لبنة لبنة كما ينبغي أن يكون وحتى صنعه بيده وعلى عينه فكان أهلا لحمل الأمانة التي أبت أن تحملها الجبال والسماوات والأرض وحملها الإنسان: **ذلك الرسول**، أ يكون التأديب من أب محب حريص لولد عزيز إلا بالثناء والموافقة والمجاراة؟ كيف وهو ابنه كلاهما عبدان يشتركان في المواصفات البشرية المعرضة للخطأ والنسيان. أم يدخل فيه التأديب عن طريق التعزير والتأديب بواسطة المنع والحرمان، والتأديب بالهجر والتأديب بالنصح والنهي والأمر وما إلى ذلك من وسائل التأديب التي يقر بها علماء وأطباء السيكولوجيات والتربية. كيف العجب إذن والأمر هكذا من تأديب نابع من طرف عال ليس كمثله شيء؟ من إله معبود خالق له كامل الربوبية لعبد اصطفاه **أن يبلغ رسالة وعهدا غليظا** ألا يكون شأنه كذلك؟! أليس الأولى أن لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقيمها ومحصها وهو القاهر فوق عباده وهو بكل شيء عليم"

وقبل الحديث عن كل هذه الآيات السابقة الذكر ومغزاها فإن لنا وقفة مع الذين يستخدمون هذه الآيات هي أنهم يثبتون- بما لا يدع مجالا للشك- أن القرآن الكريم منزل من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه لم يحدث فيه تبديل ولا تغيير حتى وصل إليهم، فلو حدث فيه تبديل أو تغيير لحذفت منه الآيات التي تتضمن عتابا من الله لرسوله ،أو على الأقل حرفت ولكن كون القرآن قد جاءنا وفيه هذه الآيات مع ما يمكن استغلاله فيها وكونها لم تتغير ولم تتبدل فهي دليل على أن القرآن قد وصلنا كما أنزله الله سبحانه وتعالى، وتأكيد للآية الكريمة "**إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**" **الحجر** 9 وقبل أن أورد تعليقا أو تعقيبا على كلام الشعراوي وهو برأيي عين المنطق أود أن أضيف سرد ما جاء في كلامه حيث قال:

"وكون هذه الآيات نزلت في القرآن الكريم في زمن رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من الوحي ويبلغه للمؤمنين ومن هنا فإنه ﷺ لو لم يكن أمينا في إبلاغ الرسالة لأخفى هذه الآيات وما كان أحد من البشر يستطيع أن يعرف إذا كانت قد نزلت أم لا ولو أن هذا القران كلام بشر يستطيع أن يعرف فإذا كانت قد نزلت أم لا ولو أن هذا القرآن كلام بشر لما كان يحوي عتابا لرسول الله ﷺ فالبشر من عادتهم لا يستقبلون النقد ويدعون الكمال وما من

منهج بشرى يلوم فيه صاحبه نفسه أو يعاتبها بل كان منهج وضعه بشر يحاول أو يوهم الناس بأن هو الكمال المطلق".[1]

كلام يزيد الحق إحقاقا نعم كيف يعاتب الإنسان نفسه؟ ثم يعلن ذلك أمام الملأ؟ ومن هنا نستنتج مع الشيخ ما يلي:

-فكون هذه الآيات قد نزلت دليل على أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى ليس كلام بشر

-وكون أن الرسول ﷺ قد قام بإبلاغ هذه الآيات دليل على انه أمين في إبلاغ الرسالة كاملة

-وكونها موجودة في القرآن الكريم بعد أربعة عشر قرنا دليل بأن كلام الله قد وصلنا كما أنزل بلا تحريف.

هذه حقائق هامة توصلنا إليها لا ينبغي لنا أن نعدوها، ذلك أن الذين أرادوا هدم هذا الدين، إنما قد ثبتوه وأثبتوا ما فيه، أثبتوا أن هذا القرآن هو كلام الله وأن نبيه ورسوله هو محمد بن عبد الله البشر لا الملك، المرسل المختار الأمين كان أمينا في إبلاغ رسالته وأن القرآن الكريم قد وصل إلينا كما أنزله الله تعالى أول ما أنزل.

ثلاثة حقائق أثبتوها ومن حيث لا يعلمون وهم أرادوا بادئ ذي بدئ أن يطمسوها فيه سبحان الله: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" و "يريدون ليطفئوا نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون"[2]

المبحث الرابع : صيغ أخرى غير الخطاب لورود لفظة "نبي"

كما سبق وأن ذكرت فان أسلوب القرآن جاء متباينا متنوعا في أغراضه البلاغية يتخذ من كل منها وسيلة لإبلاغ معانيه ومدلولاته،و من بين ما استعمله أسلوب الخطاب سواء أكان مباشرا

---

1 2 الشعراوي، محمد متولي. المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2005. ص ص 45-90

أو غير مباشر و من بين صيغه الخطاب بالنداء كالذي نحن بصدد دراسته. لقد جاء النداء على الرسول ﷺ بصيغ متعددة خصصنا منها اثنتين هما "**يا أيها النبي**" و "**يا أيها الرســـول**" ولكـــن الذي يعنينا في هذا المبحث هو ورود لفظة **النبي** مفردة أو جمعا أو تنكيرا أو تعريفا في السياق القرآني ونحاول أن نبين ما وراءها من أسرار.

1.4 الوقوف علي الآية 81 من سورة آل عمران:

يقول تعالى في صيغة الجمع الغائب عن النبيين مقررا حقيقة مطلقة متمثلة في أخذ الميثاق منهم جميعا بموجب الكتاب و الحكمة الذي آتاهم إياه وطالبهم بالإيمان به و نصره ثم تأكد من إقرارهم له بالنبوة و أشهدهم و شهد معهم على الميثاق.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ ميثٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾

يكاد يتمحور السياق الدلالي لهذه الآية الكريمة، البالغة الروعة في الاكتمال التشريعي والعقدي، الجامعة المانعة، يكاد يلتقي المعنى الدلالي لها بأختها في سورة الشورى، وبالضبط الآية الثالثة عشر إذ يقول تعالى:

الآية: ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

إنه الخطاب المباشر، والتكليف الرباني، ذلك الميثاق الذي واثق به رسله وأنبياءه قبل، ثم واثق به نبيه وخاتم رسله جميعا:

محمد بن عبد الله ﷺ، فأي شيء أكبر شهادة ؟ ! ها نحن نرى نقاط التقاطع بل خطـــوط التقاطع جلية بين هاتين الآيتين، والمتمثلة فيما يلي: (وهو اجتهاد خاص)

1-أن الله أخذ العهد والميثاق من كل الأنبياء قبل محمد ﷺ لكنه جعله في الأخير خاتما مصدقا لذلك العهد ناسخا للأديان قبله، باعتبار رسالته شاملة محتويه على كل الشرائع السابقة فضلا عن بعض الإضافات في التشريعات.

2-لقد تم إقرار الرسل والأنبياء بنبوة محمد ورسالة محمد ﷺ قبل خلقه حتى، لقد تم تكليفه بالرسالة والشهادة معا. وهنا بيت القصيد، لقد كان عيسى عليه السلام كذلك رسولا نبيا. ولكن ميزة محمد، ﷺ تتمثل في الختم والشهادة وأنه حافظ على ما سبق وصانه ثم أكمله وزانه. وقد جاء في تفسير هذه الأخيرة ما يلي:

يقول ابن كثير في مختصره[1]: "يقول تعالى لهذه الأمة: (شرع لكم من الدين ما وصى نوحا والذي أوحينا إليك)، فذكر أول الرسل بعد آدم وهو **(نوح)** عليه السلام وآخرهم وهو **(محمد)** ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم، وهو: **إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم**. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تعالى: "وإذ أخذنا من **النبيين** ميثاقهم ومنك ومن **نوح وإبراهيم وموسى وعيسى** بن مريم، وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" (الأحزاب- 71) والدين الذي جاءت به الرسل كلهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له. وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله جل جلاله: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

ولهذا قال تعالى هنا: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الاختراق والاختلاف"

يجدر بنا أن نشير إلى أمر هام، يخص هذه السورة "الشورى"

-إن من ميزات هذه السورة الكريمة:

1-ذكر الخمسة من الرسل أولى العزم.

2-ابتدارها بآية شبيهه وهي: **كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴿٣﴾

جاء في التفسير ما يلي:

1- عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، دار الشهاب، الجزائر، م 3 ص152.

أي كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل على الأنبياء قبلك، وقوله تعالى: "**الله العزيز**" أي في انتقامه، "**الحكيم**" في أقواله وأفعاله"

إن بداية السور في رأيي لها علاقة وطيدة بمحتوياتها ومضامينها الدلاليـــة، وبخواتيمهـــا أيضا، تتمثل هذه العلاقة في، التمهيد لما سيأتي في هذه السورة وتتمثل هذه العلاقة أيـــضا فـــي تهيئة الجو النفسي للرسول المتلقي ﷺ حيث يتم تشغيل جهازه العصبي والحسي والنفسي كـــلا لاستقباله رسالة معينة ذات سياق معين ومضمون محدد. ومن البدايات تعرف النهايات.

استعد يا محمد لاستقبال رسالة جديدة، هذا هو عنوانها أو مدارها أو مضمونها.

أما السيد قطب، فإن له أدلاء آخر بأبعاد مختلفة وآفاق جمعت بين الآراء النقلية السابقة. والمفاهيم الحديثة المعاصرة، بمستجداتها وحيثياتها، حيث يقول في تفسيره لهذه الآية (آ13 مـــن سورة الشورى)، ولطول ما جاء في تفسيره يتحتم علينا اقتحامه لحذف بعض منه علـــى ســـبيل الاختصار لا غير، يقول:

"وإذا كان الذي شرعه الله من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد ﷺ هو ما وصى **به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى** ففيم يتقاتل موسى وأتباع عيسى؟ وقيم يتقاتل أتباع موسى وعيـــسى مع أتباع محمد ﷺ ؟ وفيم يتقاتل من يزعمون أنهم على ملـــة إبـــراهيم مـــن المـــشركين مـــن المسلمين؟ ... الخ إلى غير ذلك من التساؤلات التي يطرحها الظلال... الخ أن يصل فيقول:

"ولم تكن صفات **محمد** الذاتية وهو بإقرارهم الصادق الأمين وكان نسبه وهو من أوسط بيت في قريش ما كان هذا كله يعدل في نظرهم أن يكون سيد قبيلة ذا سلطان".[1]

2.4 رسالة الرسل جميعا: التوحيد / سورة الشورى: آ 13- 14-15

يشترك الأنبياء والرسل جميعهم في رسالة ربانية واحدة، تعتبر مـــدار وفلـــك الـــشرائع والهدف الأسمى الذي من أجله خلقت البشر والجن قال تعالى:

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون"

1- قطب، سيد، في ظلال القران ،موقع أم الكتاب للأبحاث والدراسات الالكترونية.بتاريخ:25 ماي 2002 م

العبادة التوحيدية: هذا هو المطلوب الوحيد من المخلوقين، ثم الله يتولى عـنهم بقيـة المهـام. العبادة الحقة والتوكل الحق.

لكن هذه الرسالة تحتاج إلى واسطة ووسيلة، لتعيش مع البشر مدى الزمن، كل جيل يتلقاها فينقلها إلى الجيل الآخر، ومن أجل هذا، اصطفى الله من عباده عبادا صالحين رعاهم وتعبدهم بكتبه، وأمنهم على رسالته قال تعالى في **سورة الشورى آ 13:** ❁ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

وللوقوف على أسرار هذه الآية البليغة ذات المعاني الخالدة، علينا أولا أن نسرد بعـض ما ورد في تفسيرها في كتب المفسرين، يقول الإمامان الجليلان: جلال الدين السيوطي وجـلال الدين المحلي في تفسير هذه الآية.

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) هو أول أنبياء الشريعة (والذي أوحينا إليك ومـا وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا) هذا هو المشروع الموصى بـه والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد (كبر) عظم (على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد (الله يجتبي إليه) إلى التوحيد (من يشاء ويهدي إليه من ينيب) يقبل على طاعته"[1].

وهكذا يزيد يقيننا بأن رسالة الرسل هي واحدة مشتركة: **التوحيـد** بـدأ بـأول أنبيـاء الشريعة- نوح عليه السلام- ثم انتهاء مباشرة بك يا محمد، حيث يتحدد المجال الرسـالي مـن أوله إلى آخره، في خط مستقيم ليس يحتمل بعد هذا التحديد أي مجـال أو موقـع للإعوجـاج. فالرياضي الماهر بالهندسة ورسم الخطوط إذا أراد رسم خط مستقيم" فما عليـه إلا أن يحـدد نقطتين الأولى هي البداية، والثانية هي النهاية. وكلنا يعرف القانون الهندسي الشهير: "**من نقطة واحدة تمر خطوط عدة، بيد أنه لا يمر من نقطتين إلا مستقيم واحد**" وقس على هذا، نعم، بعد

---

1 - تفسير الإمامين الجلالين: جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي. تحقيق وتنسيق: الشيخ محمد الصادق القمحاوي مكتبة رحاب- الجزائر .ص ص223- 230 ، 1345ه

أن تحدد المشرع سبحانه وتعالى نقطتي البدء والنهاية واشتراكهما في خاصـــية واحـــدة هـــي: التوحيد، يمر بعد ذلك إلى شيء من التفصيل هو طبيعة الخط الذي بينهما. ومن سار فيه إنهـــم الرسل: **إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الـــسلام.** والوصية التي أسندت إلـــيهم: وهـــي دائمـــ التوحيد **(أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)**

وهنا أيضا وقفة أخرى: فلو تفرق الرسل فيما بينهم، لما أمكن استقامة الخط الطويل حتى يصل إلى خاتم الرسل والأنبياء.

ولو شئنا لتابعنا الآيتين اللتين بعدها، يقول تعالى: آ 14.

وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝

نبقى مع التفسير نفسه: يقول الشيخان:

"(وما تفرقوا) أهل الأديان في الدين بأن وحدّ بعض وكفر بعض (إلا من بعدما جاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء (إلى أجل مسمى) يوم القيامة (لقضي بينهم) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم اليهود والنصارى (لفي شك منه) من محمد ﷺ (مريب) موقع في الريبة" إذن فسبب التفرقة هم: الكفار أعداء الرسل والتوحيد . وهم الذين أرادوا الفتنة أرادوا تشعيب هذا الخط المستقيم،ثم يستدرك الحق تعالى قائلا في الآية التي تليها: "فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝ (الآية 15)

يقول الشيخان الجلالان في تفسير هذه الآية:

(فلذلك) التوحيد (فادع) يا محمد الناس (واستقم) عليه (كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) في تركه 'وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل) بأن أعدل (بينكم) في الحكم (الله ربنـــا

وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فكل يجازي بعمله (لا حجة) لا خصومة (بيننا) هـذا قبـل أن يؤمر بالجهاد (الله تجمع بيننا) في المعاد لفصل القضاء وإليه المصير) المرجع.[1]

هذه كانت خلاصة القول: **حكم الله بين العباد فيما اختلفوا فيه يوم القيامة.**

ولو بقينا مع سورة الشورى أطول، بغرض الاستبصار بآياتها في موضوع التوحيد، لو جدنا فيها معاني كثيرة تدور حوله ، فهذه الآية السابعة ثم الثامنة إذ يقول فيها تعالى: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾

"وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

"يقول تعالى: وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك (أوحينا إليك قرأنا عربيا) أي واضحا جليـ بينا (لتنذر أم القرى) وهي مكة (ومن حولها) أي من سائر البلاد شرقا وغربا"1.

وقد اكتفيت بهذا القدر، لأن بعده كلام مفصل عن صفة مكة وعن تفـسير بقيـة الآيـة الكريمة.

فالملاحظ هنا: أن الرسالة الربانية هي الأمانة الوحيدة التي طولب الرسل بتبليغها إلـى البـشر على مد الزمان واختلاف المكان. **هي التوحيد ولا شيء غير التوحيد.**

وإذا جئنا إلى التفسير الخاص بالآية رقم ثلاثة عشر من سورة الشورى وأردنا الاستزادة من وجهة نظر ابن كثير في تفسيرها زيادة في التوسعة، فإنه يقول:

"يقول تعالى لهذه الأمة: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك" فذكر أول الرسل بعد آدم وهو (نوح) عليه السلام، وآخرهم وهو (محمد) ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو: إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، وهذه الآية انتظمت ذكـر الخمـسة، كمـا

---

[1]- تفسير "الإمامين الجلالين، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، تحقيق وتنسيق الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب، الجزائر ص ص231 243، 1345ه

اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تعالى: "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم" الآية، والدين الذي جاءت به الرسل كلهم، هو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال عز وجل: " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون"، وفي الحديث: "نحن معشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد" أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وجده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).[1]

ولهذا قال تعالى ههنا: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف.

وقوله عز وجل: (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أي شق عليهم، وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد، ثم قال جل جلاله: "الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب" أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد، ولهذا قال تعالى: (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم، وقيام الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد..." إلى آخر ما قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية وكخلاصة لكل ما تقدم، نزداد يقينا أن الرسالة الرسل والأنبياء جميعا وقد كلفوا جميعا بحملها أو حملها وتبليغها، ثم جاء خاتم الأنبياء والرسل جميعا ، لكي يتوج التكليف والتبليغ، بأن نسخ جميع الشرائع التي كانت قبله بدين جامع كامل: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا".

وهذه الآية أبلغ وأكبر من كل ما يمكن أن نقوله، جفت الأقلام ورفعت الصحف، هذا هو الدين: الإسلام "ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".

لقد كان إرسال محمد ﷺ، بعد كل ذلك الركب المبارك من الأنبياء والرسل كان أمرا حتميا، قدره الشارع سبحانه وتعالى، ليجدد به الدين من جهة، وليوثق به قضية التوحيد فلا تثليث ولا وثنية، ولا شرك ولا جاهلية، ثم بعد ذلك تولى بحفظ كتابه حفظا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتكفل هو برعايته والدفاع عنه وتثبيته من أول يوم لآخره.

---

[1]- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني- دار الشهاب الجزائر مج 3. ص75

كي يحتوي جميع الأديان والكتب السماوية، فيبقى واحدا لا تناقض ولا اختلاف فيه، هو الحق لا شيء غيره، آياته بينات في الأنفس والآفاق، معجزاته خالدات على مر الزمـــان حتـــى يرث الله الأرض ومن عليها، فاللهم ثبتنا على هذا الدين حتى نلقاك وأنت راض عنا. آمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة الفصل الثاني

نستنتج من خلال ما تقدم ذكره في هذا الفصل المخصص للخطاب القرآني للرسول ﷺ بصيغة " **يا أيها النبي**" و الذي ارتأينا- نظرا لتشعب الموضوع و ثراء عناصره -أن نبوبه إلى أربعة مباحث قصد استيفاء كل عنصر حقه ليس إلا، و كذا إماطة اللثام عن أسرار هده الصيغة الخطابية التي تكررت بعدد أكبر من صيغة " **يا أيها الرسول**" وذلك بإحصائها في القرآن الكريم و تتبع أسباب نزولها من أشهر كتبه،من أجل كشف ملابسات نزولها لأني وجدت في ذلك إعانة لي علي معرفة دواعي استعمال صيغة " **يا أيها النبي**" .

كما تطرقت إلي الشبهة التي أثارها المستشرقون حول مسألة العتاب والتبليغ محاولة الرد عليهم بالأدلة و البراهين النقلية و العقلية مؤكدة أن صيغة " **يا أيها النبي**" جاء بها القرآن لما يتعلق الأمر بالحياة الشخصية للرسول الكريم كونه بشرا يعيش حياة عادية مع أزواجه و محيطه و لأن كان فيها شيء من العتاب و اللوم فذلك لا ينقص من شأنه أو يحط من مكانته بصفته رسولا مبلغا ، ثم عرجت أخيرا علي مجيء لفظة "**نبي**" بالإفراد و الجمع و التنكير و التعريف في صيغ أخري غير الخطاب لتبيين الفرق القائم بينها و بين صيغة "**يا أيها النبي**".

إن هذه الدراسة لن تكتمل جوانبها إلا بإجراء موازنة بين الصيغتين من زوايا مختلفة و محددة و هو موضوع دراستنا في الفصل الثالث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــــــــل الثّالث:
الموازنة بين صيغتي: "يا أيّها النبـــيّ" و "يا أيّها الرّسول".

المبحـــــــث الأوّل:
صيغـــة "يا أيـــها النبـــيّ".

I- الموازنة من الناحية البلاغية، الأسلوبية.
I -1- من الناحية البلاغية.
I -2- من الناحية الأسلوبية.
I -3- آراء البلاغيين في الأسلوب القرآني.

II- الموازنة من الناحية النفسية.
II -1- الخطاب القرآني و الرسل عليهم السلام.
II -2- الرسول ﷺ و الخطاب القرآني.
II -3- المواصفات النفسية للخطاب القرآني.
II -4- كيف استقبل محمّد ﷺ القرآن نفسيا.

III- الموازنة من الناحية الدلالية.
III -1- تعريف الدلالة.

IV- الموازنة من الناحية الصوتية.
IV -1- علاقة صيغة "يا أيها النبي" بنوعي الخطاب القرآني.
IV -2- الكلمة الطيبة و أثرها في النفس في القرآن الكريم.
IV -3- صيغة "يا أيها النبي".

V- الموازنة من الناحية الصرفية.
V -1- صيغة "يا أيها النبي" من الناحية الصرفية.
V -2- النحويون و القراءات القرآنية.

المبحـــــــث الثانـــي:
صيغـــة "يا أيـــها الرّسول".

I- الموازنة من الناحية البلاغية، الأسلوبية.
II - من الناحية النفسية.
III - من الناحية الدلالية.
IV - دراسة هذه الصيغة من الناحية الصوتية.
IV -1- الرسول صوتيا.
IV -2- الجانب الصوتي و أثره على المعنى.

خاتمـــــــة جزئيـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : صيغة: "يا أيّها النبيّ".

I/- الموازنة من الناحية البلاغية، الأسلوبية:

I-1- من الناحية البلاغية:

لكل صيغة كلامية مهما كان مصدرها أسلوب يميزها،ولو سلمنا بأن الأسلوب تراكيب، و إن التراكيب ألفاظ مجتمعة في تساوق منطقي خاضع لدلالة نحوية و صرفية معينة،هدفها أداء معنى مقصود أيضا.من هذا التعريف المختصر، أردنا الخلوص إلى أنه في الأسلوب القرآني خاصة،لا يمكن بأي حال من الأحوال استبدال صيغة بصيغة أخرى أو عبارة بعبارة أخرى، أو لفظة أو حرف أو فاصلة أو وقف أو غيره. فهذا النسق العجيب المعجز هو الذي أطلق عليه القدماء مصطلح:"النظم" الذي نجد مفهومه متداولا في بطون كتبهم، نأخذه أحدهم عن سابقة فيهضمه ثم يضيف عليه و يضفي من المفاهيم و المدلولات و الفضاءات الجديدة ما يتبع له بحثه أو اطلاعه. و قد وقفت على شيء من ذلك كله من خلال قراءتي، فرسخ منها في فكري ما أنار لي طريقا في البحث في هذه الجزئية أو تلك،بدءا بالنظام و أبى عبيدة مرورا بالجاحظ و ابن قتيبة و ابن سينان ثم الرماني و الخطابي و الباقلاني و انتهاء برائد البلاغة عبد القاهر الجرجاني،و لا أريد أن أطيل الكلام في هذا الموضوع لأنه سيعد آنذاك مجرد نقل عقيم أو تكرار لما جاء في بطون أمهات الكتب،فتحسب علي إطالة دون إفادة،و المطلوب من الطالب الباحث أن يكتشف مستورا أو يضيف جديدا أو ليبتكر ولو شيئا ضئيلا يدخل به عالم الحقيقة ولو من باب صغير...

مثله كمثل من يريد أن يدخل دارا مغلقة في ليل حالك، ألا يحتاج إلى نور يستضيء به كي يرى قفل المفتاح؟ ثم إلى مفتاح مناسب وبد سليمة وعين ناصعة، فالنور هو ما رسخ في الذاكرة من معلومات ومعارف ومفاهيم، والمفتاح هو عين العقل من تحليل وتعليل وتركيب واستقراء واستدلال وتفسير وتوضيح والدار هي الحقيقة النسبية في المجال المعين، ثم الولوج إليها وهو ما نحسبه كذلك، ونأمل أن نكون بصدده في هذا البحث.

ان الجانب البلاغي لأى صيغة كلامية لا يكاد ينفصل عن الجوانب الأخرى في المستويات يصطلح على تسميتها أهل اللغة.، فما أسلوب القران يخفى على ذي لب، وما بلاغته كذلك.

وقد يكفيني في هذا المبحث، كلام مختصر مفاده: أنه لو كان في القرآن مجال للترادف ككلام البشر، لجاز لنا تبديل هده الصيغة بأخرى ثم لا يكون بعد هدا أي تغير في المحتوى المقصود من الله تعالى، ولكن هدا الطرح مرفوض جملة و تفصيلا في القرآن كله.. وها هنا يكمن سر بلاغته، فهي كما عرفها البشر **إيصال المعنى إلى القلب بأوجز عبارة من اللفظ**، أو **مطابقة الكلام لمقتضى الحال** أو كما عرفت، لكن القرآن الكريم قد بلغ فعلا معنى الرسالة باختياره صيغة معينة دون أخرى، وقد أقر النبوة، ثم تم تقرير النبوة والرسالة معا، ولا تعارض بين الصيغتين إنما أدت كل واحدة ما عليها في مكانها.

I-2- من الناحية الأسلوبية:

بعد التعريف اللغوي لكلمة أسلوب والتعريف الاصطلاحي من معاجم اللغة المعتمدة أقول:

لكلمة " الأسلوب" في المعنى اللغوي معان عدة، منها: السطر من النخيل، والطريق بين الأشجار، والوجه، والمذهب، وطريقة المتكلم في كلامه.

"أما الأسلوب في الأدب فهو الطريقة التي يسلكها الإنسان في تأليف كلامه واختيار ألفاظه".[1]

"والذي نعنيه بأسلوب القرآن هو الطريقة التي انفرد بها تأليف كلامه واختيار ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقران أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به".

"إن الأسلوب غير المفردات، والتراكيب التي يتألف منها الكلام، وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، وهذا هو السر في أن الأساليب مختلفة باختلاف الأدباء".[2]

إن القرآن لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم، ومع هذا فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ ومذهبه الكلامي المعجز، ولو دخل عليهم من غير هذا الباب الذي يعرفونه لامكن أن يتلمس لهم عذر وأن يسلم لهم طعن أو شبه طعن.[3]

---

[1] - شيخ أمين،مكري،التعبير الفني في القرآن،ط4 1980،دار الشروق ص179

[2]-[3] - نفس المرجع نفسه،ص180

إن الوقوف على أسباب النزول القرآني والفهم الصحيح لها، وعلى مواقع النزول مكانا وزمانا، في مكة أو في المدينة، ييسر الفهم والإدراك السليم، ويوسع دائرة الإحاطة بالجوانب المختلفة لظاهرة الخطاب، باعتبار أن العلاقة وثيقة بين مواقع النزول القرآني، وبين أسبابه من قصص، وحوادث، ووقائع مما يسهل عملية البحث في أعماق الآيات القرآنية، ومعانيها ودلالتها.

فالنزول المكي له أساليبه وأنماطه والنزول المدني له أساليبه وأنماطه، وبالتالي فالعلم بالمكي والمدني يوفر حقيقة الوقوف، ومعرفة أساليب وأنماط كل منها، مما يتيح للمسلم ويحقق للداعي بغيته في التحري للأساليب المناسبة، والأنماط الملائمة لأحوال الناس، والتخاطب، وأي من هذه الأساليب يتواءم مع نفسياتهم وأفكارهم، وتقبلهم، وبالتالي اختيار الأنسب منها في التعامل مع العباد، مؤمنهم، ومشركهم، وملحدهم، ومن ثم مناقشتهم، وهدايتهم، وإفحامهم.[1] حيث إن معرفة ما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة يؤصل في حد ذاته متابعة سيرة الرسول ﷺ والحوادث التي تابعتها، والأحكام التي ترتبت عليها.

وإذا جئنا إلى أسلوب الآيات المدنية عموما، فيمكن أن نصفه بالطول والإطناب ليتناسب مع أحوال أهل المدينة في لغتهم، وبيانهم، وفصاحتهم لأنهم كانوا أقل فصاحة و بيانا من أهل مكة، فضلا عن تلاؤم أسلوب الإطناب مع مقتضيات التشريع، والتفصيل للأحكام والتكاليف في العهد المدني.[2]

ولقد استقرأ العلماء من الأحاديث الصحيحة الإنزال المنجم للقرآن حيث كان ينزل تبعا للحوادث، والوقائع، والأسئلة، والمناسبات، مفصلا، موضحا، مفسرا، مجيبا، مؤصلا، لأحكام شرعية تقتضيها أحيانا أسباب النزول.

إن البلاغة (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) تقتضي انتقاء الألفاظ لموقف ما، انتقاء يتناسب مع طبيعة هذا الموقف وحال المخاطب وزمان ومكان المتلقي .

---

[1]- [2]- السيد غازي عناية: هدى الفرقان في علوم القرآن، ج1 دار الشهاب، باتنة.ص63

"..ونجد أن القرآن في هذه الناحية قد تخطى كل شروط البلاغة في أنه مطابق لكل أحوال البشر، على اختلاف ظروفهم، ولذلك تحير الكفار في هذا الإعجاز في مخاطبة البشر جميعا. وفي هذا الإعجاز الذي تهتز له قلوب كل من يسمعونه ويفهمونه ".[1]

واقتضاء البلاغة يفضي بنا إلى أمور عدة منها:

1/ وضع الكلام مناسبا للمقام الذي يقال فيه ومستوفيا لأركان سلامته، وأركان الكلام هي ألا يكون بين الحروف تنافر، مثل أن تكون الكلمة هيع هيع، وإنما تكون الكلمات منسجمة ولا تأتي مخالفة لقانون اللغة ولا تكون غريبة على الأذن، عندما تستوفي الكلمة هذه الشروط، توضع في جملة يشترط أن تكون منسجمة مع الكلمة الأخرى، خاضعة لقواعد اللغة، وليس فيها تعقيد.

2/ إذا كانت بلاغة البشر هي مخاطبة مطابقة لمقتضى عقولهم، ومن هنا كانت بلاغة البشر على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب، ومعنى ذلك أنه لابد أن يكون هناك عالم وعلمنا كبشر بأحوال المخاطبين محدود، ولكن علم الله سبحانه وتعالى بلا حدود. هذه حقيقة يجب أن نذكرها رغم أنها لا تحتاج إلى بيان، لكننا إذا نذكرها هنا في بحثنا فهي بمثابة منطلق أو مسلمة رياضية، ندخل بها باب البحث في حقيقة الخطاب بصيغة " **يا أيها النبي**" بالذات دون غيرها. ونأخذها كمسلمة حتى لا نعود مرة أخرى فنعيد الكلام في إعجاز كل كلمة، وكل حرف في القرآن الكريم ولنثبت بها أن الله سبحانه وتعالى ما اختارها هكذا اعتباطا: " إذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن وبلاغته، فإننا لابد أن نتناول دقة اللفظ، أو دقة التعبير في القرآن الكريم وكلام الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون في غاية الدقة، بحيث يعبر عن الشيء تعبيرا كاملا. فلا يجد حرفا زائدا بلا معنى، ولا كلمة مترادفة على آخر ما يقال عن القرآن الكريم والحقيقة أن المعجزة في القرآن تجدها في حرف".[2]

و عليه لا أظن أن الآيات التي خاطب الله فيها نبيه بصيغة " **يا أيها النبي**" مبتدئا بها فاتحا ومستهلا تصح في معناها ومدلولها وغاياتها ومقاماتها لو استبدلنا تلك الصيغة بصيغة أخرى. هي مثلا: " **يا أيها الرسول**"، أو " **يا محمد**"، أو "**يا أبا القاسم**"، أو " **يا ابن آمنة**"، أو

1- الشعراوي: المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، ج1، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت- ط1، 2005م،ص52

2-الشعراوي: المعجزة الخالدة ج 1 ص 47.

يا ابن عبد الله"، سبحان الله، الله أعلم. وأجل وأعلى والمنطق يقول: إنما بعد الصيغة الخطابية من مضمون قرآني يبقى هو هو، لا يتغير. ولكن المنطق البلاغي والدلالي للغة العرب يقول غير هذا، واللغة كما نعرف جميعا، بل وكما درسه علماء الغرب أيضا، مختلفة عن الكلام، فقد يكون كلاما عاديا يقال لإنسان من طرف آخر، فيتقبله بصدر رحب، ويفهمه ويستوعبه. فإذا جاء نفس هذا الكلام أو جاءت هذه الجملة بعينها، ولكن في قالب مغاير، كأن تتغير النبرة مثلا. (والنبر موضوع معروف عند اللغويين وأصحاب العروض) أو ابتدأت مثلا بنداء مجحف مثلا كأن يقال للمخاطب "يا أيها المغفل، أما علمت أن الأرض كروية الشكل؟".

أو يقال له في الموضوع نفسه علميا مثلا: "أما علمت أن الأرض كروية؟" أو يقال له: يا أيها التلميذ" أو "يا أيها الطالب" أو ينادى باسمه فهل يستويان مثلا؟ ، لا أظن أحدا سيخالفني الرأي في الرد بالنفي، وكيف ذلك؟ والمخاطب إنسان بكل ما في هذه الكلمة من معاني، روح، وعواطف، وكرامة، وإحساس، وعقل، وضمير وذاكرة.... إنه ليس آلة جامدة، إن الذي يشده أولا في كلام غيره، أو في مخاطبته له، هو ما يستفتح به كلامه وطريقة تعابير محياه، وأسلوبه والقالب الذي يخرج فيه هذا الكلام والنبرة وغير ذلك ثم يؤثر كل هذا في مضمون الكلام و الرسالة الموجهة إليه.

فحتى العلوم التجريبية اليوم، والمجردة من كل عاطفة أو أسلوب، أصبحت تبحث عن طرق تعتمد أسلوب التسلية تجعلها سهلة الاستيعاب للطالب وهذا ما يحدث بالفعل في المدارس الحديثة.

ولمن شاء التأكد من ذلك فليتصفح كتب الفيزياء المسلية والرياضيات المسلية وما تحويه من نكت وكاريكاتور وأشعار وغير ذلك من أساليب في منهجية التعليم الحديث، أليس هذا دليل على أهمية بل وضرورة اختيار السياق والأسلوب والقالب؟

وما زال البحث جاريا عن أنسب و أدق وأبلغ مناهج في تيسير الخطاب الإنساني في شتى المجالات ولعل ما يعرف بالتنمية البشرية اليوم، هو دليل آخر على ما سبق قوله، فهو يعتمد أساسا على كثير من القواعد في هذا المجال، من بينها: الأسلوب القرآني، الأسلوب النبوي ثم أبحاث العلماء وخاصة النفسانيون منهم والاجتماعيون واللغويون.

أما إذا عدنا إلى صيغة" **يا أيها النبي**" التي استفتحت بها بعض الآيات القرآنية بغرض دراسة أثرها البلاغي و علاقاتها بمضمون الآية، تجلي للقارئ المتمعن: إن كلمة "النبي" في حد ذاتها، وكما هي معروفة اصطلاحا في كتب اللغة والتفسير والبلاغة، تعني الشخص المختار المصطفى من الله سبحانه وتعالى، الموحى إليه. هذا باختصار شديد، فما أطول ما قيل وكتب في التعريف بهذه الكلمة، التي يدرك معناها كل مسلم ولو كان علي نصيب ضئيل من العلم.

إن هذه اللفظة عندما يكررها الخالق سبحانه وتعالى ويرددها مرارا وتكرارا، ثم يضيف إليها صيغة النداء مخاطبا بها الرسول ﷺ هذا يعني من جهة تذكير له ومن جهة أخرى إعداده لسماع وتنفيذ ما سيأتي بعدها، ومن جهة أخرى إبقاء له على شرف النبوة رغم كل ما سيلبيه من عتاب أو غيره وهذا غاية في البلاغة:"... فلا فرق عند الله بين الوحي والنبوة فالاهتمام بالوحي يعود إلى الاهتمام بظاهرة النبوة حيث أنها هي السمة المميزة للنبوة وهي الحقيقة الجوهرية في مذهب التوحيد..."[1]

وأهم غاية وأجلها في إعادة النداء بـ" **يا أيها النبي**" هي دحض أباطيل الكفار والمشركين في أن عتاب الله لرسوله يلغي اعتباره نبيا، بل علي العكس من ذلك فانه يعاتبه ويلومه مبقيا مع كل ذلك علي صفة نبوته، و يزيد في الثناء عليه .

فقد حاول المستشرقين قديما و حديثا إلصاق التهم بالرسول ﷺ وتصوير الوحي بأنه أوهام شخصية واختلال عقلي بغرض إبعاد فكرة أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ غايتهم صد الناس عن طريق الله وإنكار أن الإسلام دين سماوي يجب الإيمان به.

خلاصة لما تقدم بوسعنا القول ما يلي:

* إن استعمال "**يا أيها النبي**" كعبارة افتتاحية لما بعدها من مضمون قرآني هو سر إعجازي من أسرار التعبير القرآني.

* كما انه سر بلاغي أسلوبي، أحسن اختيار المنادى المطابق لمقتضى ما سيأتي من تشريع حيث حقق غاية الأدب الرباني في الخطاب مع رسوله الكريم. فقد كان يحق له وهو الخالق المعبود الذي لا يسأل عما يفعل ، أن يقول للرسول و بكل بساطة: " لم تحرم ما أحل الله

لك" عوض ما ورد في سورة التحريم -الآية 1- أو " يا محمد قل لمن في أيديكم من الأسرى... " عوض ما ورد في سورة الأنفال -الآية 70- أو أن يقول له: " يا رجل إذا طلقتم النساء....." عوض ما ورد في سورة الطلاق-الآية 1- أو " يا أبا القاسم إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئا ..." عوض ما ورد في سورة – الممتحنة – الآية12 -

ثم يأتي بالتشريع أمرا كان أو نهيا أو عتابا ويتم الأمر ويفهم القصد، فما حاجته هو وهو من هو : الله الخالق البارئ، الرب... إلى استعمال هذا الأسلوب اللطيف ليواجه به مجرد عبد من عباده ويخاطبه ويوجه إليه رسالة ؛أيحتاج هو أن يقبل عند أحد من خلقه؟ وهو الغني وهم الفقراء وهو الذي يحتاج إليه فيختار ألطف وأبلغ وألين كلام لدعائه وينتقى أطيبه لمناجاته، ولكنه لم يفعل بل تعمد المخاطبة على تلك الحال من اللين والأدب الراقي والتهذيب والمراعاة لله المثل الأعلى.

إن الله له كل الحقوق علينا فنحن متعبدون باسمه وندين له بأرواحنا وأنفاسنا حتى إذا قرعنا أو لام علينا بل إذا تعبدنا بالذبح كما حدث لنبينا إسماعيل عليه السلام والقصة معروفة فما يكون منا إلا السمع والطاعة، هذا ونحن مجرد بشر....فما بالك بالرسول ﷺ ؟ فما بالك بالرسول خاتم الأنبياء؟ والله ربه جل علاه يخاطبه من سمائه بذلك اللفظ: " النبي" وبذلك الأسلوب؟ ..أي أدب أكثر من هذا؟ ثم يقول له بعد ذلك " والله غفور رحيم" أي رغم أني أعاتبك على ما صدر منك من خطأ إلا أنني أغفر لك وأرحمك .

انطلاقا من هنا بامكاننا الدخول إلى مبحث آخر يعد مستوى من مستويات اللغة الخمسة ألا وهو المستوى النفسي حيث أحاول التطرق إلي دراسة الجانب النفسي لاستعمال صيغة " يا أيها النبي"

I-3- آراء البلاغيين في الأسلوب القرآني:

يرى الخطابي أن بلاغة القرآن تأتت من كونها جاءت بأفصح الألفاظ، في أحسن نظم التأليف، مع صحة المعاني .[1]

[1] – أنظر كتاب: الخطاب القرآني لسليمان عشراتي، ص 24.

والباقلاني لا يرى في البديع، كما ذهب إلى ذلك الرماني أو الخطابي، مصدرا أساسيا لأدبية الإعجاز بل عده أحد مظاهرها لا أكثر، وعلى الرغم من ربطه أدبية الإعجاز في مواطن كثيرة، بمبدأ النظم وإقراره بأن الإعجاز إنما حصل للقرآن " من جهة نظمه الممتنع"[1]وبأنه جاء مباينا للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد....إلا أنه لم يستطع أن يميط اللثام عن كنه هذا النظم.[2]

ولعل من أهم المحاولات الجديرة بالتقويم، هي محاولة الجرجاني الذي تصدى لدراسة أدبية الإعجاز في جو كانت فيه الانطباعية التنويهية لا تزال مادة للإعجاز ومصدرا له.[3]

والظاهر أن الجرجاني، قد تخطى آراء الإنطباعيين الإعجازيين عامدا إلى رأي الجاحظ في النظم في سياقه الذي فهمه عنه فقلبه رأسا على عقب، جاعلا من نظم المعاني مناط الأدبية الإعجازية. لقد انطلق إلى هذا الحكم من عده القيمة اللفظية، أمرا لا يأتي إلا سياقا، إذ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفرد، وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا يتعلق له بصريح اللفظ "6.

وبناء على هذا، ندخل إلى موضوع دراستنا وهو الصيغتان الخطابيتان اللتان جاء بهما النداء الإلهي القرآني إلى رسول الله ﷺ، "**يا أيها الرسول**" و "**يا أيها النبي**"، وهما مدار التشريع لقد وردت صيغة: " يا أيها المزمل" تبعا لموقف خاص يتمثل في كون المخاطب كان فعلا مزملا متغطيا يرتجف من الخوف والاندهاش، يكاد لا يصدق ما حدث له من غريب الأمر، يحدثه مخلوق غريب بصوت غريب ويسر إليه بشيء غريب جديد لا عهد له به، وجاءه النداء مرة أخرى ب: " يا أيها المدثر" ومعروف عند العرب الدثار والشعار و لما كان الشعار هو ما يلبس من داخل الثياب، فان الدثار هو ما يتزر به من الخارج، ولقد كان محمد ﷺ مدثرا في فراشه داخل بيته....جاءه النداء: قم فأنذر، بأمر لا يحتمل التأجيل أو الانتظار.

وجاءه مرة أخرى: " يا أيها الذي نزل عليه الذكر" الآية....

---

[1] - خلف . محمد،ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني،دار المعارف-القاهرة-1955م ص69

[2] - 4-5 خطاب القرآني، سليمان عشراتي، ص 25-26-27.

6 الجرجاني دلائل الإعجاز، ص 38....................

هل تساوي صيغة أخرى؟ أم هل تحل مكانها، أم هل تعني عنها بأي حال من الأحوال ؟

II/- الموازنة من الناحية النفسية.

II-1 الخطاب القرآني و الرسل عليهم السلام

اذا جئنا إلى شيء من التخصيص وأخذنا قضية الأسلوب القرآني الموجه إلى الرسل والأنبياء خاصة، وجدنا اختلافا وتميزا، وذلك لسبب واحد أن المخاطب به هو شخص خاص، وخصوصية تتمثل في كونه مختارا من الله لأداء رسالة ربانية خالدة هي التوحيد وفي هذا الموضوع أرى أن تجرى دراسة معمقة تتناول كل حيثيات هذه الظاهرة ومن كل نواحيها، ولكنها ليست مجالنا الآن، فإذا جئنا إلى هذه المخاطبة وخصصناها أكثر فأكثر، لنجعلها موجهة إلى شخص واحد بعينه ألا **وهو محمد** ﷺ،نتوقف طويلا لنحاول إلقاء الضوء على حيثيات هذه المخاطبة وبصيغتيها " **يا أيها النبي**" و " **يا أيها الرسول**" كي نرى رأي اليقين كيف يتراوح الخطاب ويتواءم أو يتباين تبعا لحالات أو مواقف أو اعتبارات معينة وذلك كما يلي:

أولا: أرى أن مجرد النداء ب" **يا أيها النبي**" من ذات علية هي الله إلى شخص ضعيف هو محمد ﷺ، وتكرار ذلك تشريف كبير، وتطمين، وتذكير بنبوة هي في الحقيقة خصوصية افترضها عليه الله لا غيره ولا حتى هو نفسه.

"**يا أيها النبي**" عبارة يبتدأ بها الخطاب وقد كان يمكن له ألا يقولها إطلاقا، بل يدخل مباشرة في صلب الموضوع من أمر أو نهي أو عتاب أو تذكير والآيات كثيرة شاهدة على ذلك.

ولكنه استعملها كمفتاح ولج به نفسية عبده وصفيه وحبيبه، حتى يذكره أنه لولا أنه كان نبيا لو لم يكن نبيه على أرضه، لما وجه إليه هذا الخطاب، فنبوته مناط تكليمه، وهي الداعي الوحيد لهذا الاهتمام.

فالرسول ﷺ شخص ضعيف بشر معرض للنسيان والهفوة كأي بشر، حينما يتلقى الخطاب مباشرة من ربه، قد ينتابه شيء من الرهب والمهابة، تعتري أي إنسان مثله.

فالمخاطب هو الله، ألا ترى بما كان يحدث له حين نزول الوحي من حالات وتغيرات؟ إنه يتوقع ثقل الأوامر التي ستلقى إليه، ويخاف من عدم القدرة على تنفيذها: " إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان " وما محمد إلا إنسان، يقول له ربه " وجئنا بك على هؤلاء شهيدا...".

الشهادة وأي شيء أكبر من الشهادة ؟ إن الإنسان العادي يخاف أن يشهد على نفسه ويخاف أن يتحمل مسؤولية الشهادة عن شخص أو أكثر من الناس....فما بالك بالشهادة على أمة كاملة من أول بدء الخليقة إلى نهايتها؟

ولكن الله سبحانه وتعالى وهو الرحمان الرحيم، راعي ضعف وبشرية صفيه محمد، فلم يفتأ أبدا في القران كله، يثبته ويروح عنه، ولم يتوقف عن تأييده إما بالكلمات الطيبات أو بالملائكة أو بما سخره له من صحبة خيرة من الإنس والجن.

ولذلك نقول ردا على من ادعى أن عبارة " **يا أيها النبي**" والتي تكررت في القرآن ثلاثة عشر مرة وقد كثر استعمالها في السور المدنية، هي للتأنيب و العتاب.

فقد بدأ النزول القرآني بالمدينة في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من السنة الرابعة والخمسين من ميلاد المصطفى صلوات الله عليه وانتهى في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة من السنة الثالثة والستين من ميلاده ﷺ، أي من بداية السنة العاشرة من هجرته.

فمدة النزول القرآني في المدينة هي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام ونسبته من القرآن أحد عشر من ثلاثين جزء من القرآن.

والسور المدنية وهي باتفاق العلماء اثنان وعشرون سورة هي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، الإنسان، النصر.

على أن صيغة " **يا أيها الرسول**" قد وردت في سورة مدنية كذلك هي المائدة.

نقول ردا على من ادعى أنها عتاب ولوم وتثريب:

إن مجرد المخاطبة بالنبوة "**يا أيها النبي**" و قبل الانتقال إلى ما بعدها من كلام، هو عين المحبة و التشريف و إعلاء القدر، فمهما جاء بعدها من لوم أو عتاب لا ينقص شيئا من قيمة محمد ﷺ عند ربه بل **جعله يحس** انه بأعين الله و **تحت** رقابته و **توجيهه** خوفا عليه و حرصا. و لو لم تكن هذه البوابة " **يا أيها النبي**" فجاء ا الكلام مباشرة بدونها لاحس الرسول ﷺ في قرارة نفسه أنه شيئا ما قد بدر منه أغضب ربه. فلنتصور معا آية مبدوءة بهذه العبارة ثم نجردها و لنأخذ كمثال لا على سبيل الحصر:

أول آية من سورة التحريم،حيث يقول تعالى:

" يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..." ثم نوردها مجردة و نقول:" لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..." **أو نقول:**"يا محمد لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك..."

الجواب:إن شخص الرسول ﷺ ليس كأي شخص و **لكن نبي أو رسول فقد خاطب** الله **موسى عليه السلام** قائلا له" يا موسى اني أنا الله **فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى**"[1]

و **قد خاطب قبله آدم عليه السلام قائلا:**

"يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها حيث شئتما رغدا... "

و **قد خاطب مثله زكرياء عليه السلام فقال له:**

" يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا " [مريم 7]

كل خاطب الله باسمه مجردا من أي صفة أو إضافة أو إسناد،و هو أعلم بذلك و أدرى، **لكنه** ما **خاطب رسوله محمدا أبدا مجردا من هذه الإضافة نبيا** أو **رسولا** و حتى **في ندائه باسمه العلم** "**محمد**" ﷺ **جاء النداء مقرونا ب**"**الرسول**" قال تعالى:" محمد رسول الله،و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم"[1]

و قال:" و ما محمد إلا رسول قد خلت من **قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على** أعقابكم"[2] و حتى حين ذكره باسمه بصيغة **الغائب في سورة محمد الآية الثانية** قال:"و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما أنزل على محمد" و **نتوقف هنا في هذا لنقول** لنلاحظ أنه

سوف يأتي بعد محمد تشريف آخر من نوع آخر هو مرادف للرسالة و شبيه لها لقد قال بعد لفظة "محمد" : "و هو الحق من ربهم" هذه هي العبارة التي وصف بها ما جاء به محمد ﷺ ، هذه هي الإضافة و الصفة.

فلم يجرد اسمه إطلاقا في القرآن من الرسالة. و هذا هو الفضل الذي له على سائر الأنبياء هذه هي الميزة التي جعلت رسالته جامعة و رسالته شاملة خاتمة لكل الرسالات و النبوات التي كانت قبلها هذه الحقيقة أراد الله في كل مرة تجديدها له و تذكيره بها. لذلك تكررت بكل الصيغ و كانت بمثابة استفتاح لتلك الآيات حتى لا يترك مجالا لان يتسرب الشك أو الخوف إلى نفسية الرسول ﷺ فضلا عن نفسية الصحابة و من أتى عقبهم ، و يعد من أوائل من تفطن إلى أثر القرآن في النفس،أي في الجانب النفسي السيكولوجي،الخطابي محمد بن محمد بن إبراهيم الذي كان له في كتابه"البيان في إعجاز القرآن" أول من كشف اللثام عن ظاهرة لطيفة،ووجه آخر للإعجاز ذهب عنه الناس الا و هو –كما يقول– " ذلك صنع القرآن بالقلوب و تأثيره في النفوس و هذه الفكرة هي التي دار حولها الجرجاني في الأسرار و الدلائل إذ اعتبر مصدر البلاغة في الكلام تأثيره في النفوس"[1].

II-2- الرسول ﷺ والخطاب القرآني:

إذ شئنا وصف الرسول ﷺ وهو في مواجهة خطاب ربه السماوي الخالد، وإعطاء مقاربة لاحتواء هذه العلاقة الرابطة الربانية العالية، فإننا لا نبالغ إذا قلنا: إن الرسول ﷺ لم يكن إلا القرآن يمشي، أو كما وصفته زوجه عائشة– رضي الله عنها– حين سئلت عن خلقه، فأجابت : " كان خلقه القرآن" أو حينما وصفه منزل القرآن ذاته قائلا: " وإنك لعلى خلق عظيم . [سورة القلم –4–]

وعليه، كاد الرسول ﷺ أن يتحد بذاته وينصهر في القرآن وروحه وجوهره، ومن طبيعة المحب لحبيبه على حد تعبير الصوفية أن ينصهر المحب في ذات محبوبه كليا... وهي مبالغة يغالي فيها غلاة الصوفية، حتى أنهم ليذكرون مفهوم الحلول والله وحده يعلم مدى صدقهم وصوابهم.

1-محمد خلف الله:ثلاث رسائل في الإعجاز ،تحقيق زغلول سلام،دار المعارف بمصر 1960، ص34

لكن انصهار الرسول ﷺ بالقرآن لم يكن بهذا المعنى الصوفي المبالغ فيه، بقدر ما كان ولاء كليا وطاعة وتعبدا لأنه في قرارة نفسه كان يعلم أنه قد خلق للقرآن وبعث بالقرآن وعاش وحيا بالقرآن ومع القرآن ووجد كل حياته وحياة العباد في القرآن.

"قل إن صلاتي و نسكي و محياي ومماتي لله رب العالمين"

هكذا كان الرسول ﷺ يرى في القرآن حياته و سر وجوده، و حتى بعد موته ليظل القرآن حيا معه ينافح عنه وعن المؤمنين، يبلغه معاني آياته الخالدة لتتحقق في الدار الآخرة، قال تعالي : "...وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" الآية التي أبكت رسول الله ﷺ حينما سمعها من احد الصحابة حتى قال له: حسبك.

فالقرآن إذن ، يمثل خط حياته، ومنهجها، وكل جواب عن كل سؤال يخطر بباله أو ببال من حوله على اختلاف أديانهم ومناهلهم، كالجواب الشافي الكافي الجامع المانع،ولو بعد حين.

جاءه خبر حادثة الإفك فقطع كل كلام ورد كل مغرض:" إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وانتم لا تعلمون" [سورة النور -19-] ، لذلك لم يكن الرسول ﷺ يتوقع من ربه إلا خيرا، قال تعالى: "لا تحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم [سورة النور -11-]

ثم يتوالى التطمين وتتوالى التسرية والتثبيت، كل هذا من أجل الإبقاء على نفسية الرسول ﷺ عالية، ومعنوياته مرتفعة، فهو بشر، وبشريته تملي عليه ذلك الخوف و تقيده بذاك الضعف. وذلك التهويل مما يدور حوله من قيل وقال حول عرض زوجته عائشة ورغم ذلك لا تزال الأحداث تجري أمام عينيه وهو واثق من أن الله سينصره بعظمته وحكمته ليحسم هذا الأمر وينهيه، ويظهر الحق ويزهق الباطل، وللرسول ﷺ وإيانا في قصص الرسل والأنبياء قبله عبرة.

أليس قد أظهر براءة يوسف لما نكل به القوم الظالمون و بعد مكر و كيد إخوته؟ والقصة معروفة، لقد أظهرها بعد حين، بعد أن كاد ييأس أبوه يعقوب عليه السلام، فإذا به تتحقق رؤيته الإيمانية الصائبة: " فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" [سورة يوسف -18-]

هكذا هم الأنبياء عموما، لهم اليقين ولو كانوا في غيابات الجياب، أو بطون الأسماك أو لهيب النيران، أو أمواج البحار، أو سعار الأمراض والأسقام، وشعارهم: النصر ولو بعد حين، الفتح والفرج هما نهاية كل ابتلاءاتهم وجزاء صبرهم و يقينهم

القرآن الكريم هو دواؤهم وشفاؤهم وهداهم ورحمتهم، يجدون فيه الحياة، ولا يمكن أن تكون هناك حياة في غيره، هكذا فهم الأنبياء والرسل حقيقة الخطاب الرباني، ثم هو يربيهم ويوجههم في كل صغيرة وكبيرة، راصدا كل تصرفاتهم وسلوكياتهم وأقوالهم وأفعالهم وأفكارهم ومشاعرهم: " يعلم السر وأخفى"[سورة النور -19-] " وهو اقرب إليه من حبل الوريد" [سورة النور -19-] " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" [سورة النور -19-] " وهو الله في السماوات والأرض يعلم ما تسرون وما تعلنون"[سورة النور -19-].

تلك هي نفسية الرسل اتجاه الخطاب الرباني والتوجيه الإلهي، كانت طاعة مطلقة وإذعانا لا مجال للجدال فيه ، حتى في أشد وأعصب المواقف.

II-3- المواصفات النفسية للخطاب القرآني:

لا أحد ينكر وجوه أثر القرآن الكريم المختلفة في النفس والأفاق، وكلنا لا بد أن يكون قد سمع يوما أو قرأ عن البحوث والدراسات التي أجريت ولا تزال تجري حول أثر الجانب النفسي في الإعجاز القرآني وهو جانب لا يستهان به بالمقارنة بالجوانب الأخرى للإعجاز القرآني.

وباعتبار أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم وجمع له التعبير الإنساني البليغ فجاء وهو الأمي ببلاغة لم يسبقه إليها أحد من العرب وهم أساطين الفصاحة والبيان أرسل إليهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه ومع ذلك عجزوا أن يحاوروه في أدنى جزء من أجزائه قال تعالى: " قل فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين".

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ:" فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون"[1]

[1] صحيح مسلم : (523/ 5)

قال الهروي: يعني به القرآن جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة وكلامه قد كان بالجوامع قليل اللفظ، كثير المعاني.

أما إذا ما استرسلنا في إعجاز القرآن النفسي ومعناه أثره البليغ في أنفس البشر، حيث يهزها هزا وتضعف مقاومة الشعور بالسكينة والطمأنينة لدى سماع آياته الكريمة ضعفا، لا تكاد تجد له تفسيرا هذا مع غير المسلمين المؤمنين به و المعتادين علي سماعه فكيف يمكن لمن لم يسلم أصلا وبالملحد أو النصراني الذين لا علاقة لهم البتة بالإسلام أو بالقرآن؟.

لقد أثبتت دراسات حديثة أجريت في البلدان الغربية عجيب أثره على النفوس المضطربة المتعبة من هرج وضغوطات الحياة العصرية ، كيف أهدأ القرآن تلك النفوس وأعاد إليها شيئا من السكينة والراحة ولعلنا نسمح أو نطالع هذه البحوث السيكولوجية التي من خلالها يحاول عديد من علماء النصارى و اليهود إخفاءها عنا لغرض أو لآخر، لكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون.

فلا يسع المرء إلا التسليم و اليقين بعظمة كتاب الله حين يعلم بتلك التجارب العلمية التي أفضت إلي تأكيد- بما لا يدع مجالا للشك أو الريب- في اثر القرآن علي النفوس: إن التموجات التي سجلها جهاز قياس النشاط العصبي لدماغ الإنسان أثبتت وجود تغير في المنحني البياني بمجرد سماع الشخص الخاضع لهذه التجربة العلمية لآيات الذكر الحكيم ، عجز الطب والعلم النفساني عن إيجاد تفسير علمي لهذه الظاهرة ولكن الله سلم و هو القائل : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق..."

يقول الشعراوي:" فترى غير المتعلم يطرب للقرآن ويجد فيه ما يرضيه، ونصف المتعلم يجد في القرآن ما يرضيه، والمتبحر في العلم يجد في القرآن إعجازا يرضيه، هذه واحدة من إعجاز القرآن الكريم إنه يقدم لكل نفس باستخدام الآيات والألفاظ التي تؤدي إلى المعنى، فإذا ما كشف الله للبشر عن سر من أسرار كونه، ورجعنا إلى الآية نجدها تؤدي المعنى نفسه".[1]

في هذا الصدد يقول الشعراوي كلاما مطولا ارتأيت أن أذكره كما ورد ذكره لأهميته و دقته و بلاغته :"...فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى حال المخاط

[1] الشعراوي المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، ج1، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1 ،2005م ص55

بالذات، ولكن العجيب أن القرآن في هذه الناحية –وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال– فيه معجزة كبرى، فأحوال الناس متعددة، متغيرة، وأنت حين تخاطب إنسانا إذا لم تعرف ما في نفسه، فإنك لا تستطيع أن تصل إلى أعماقه، فمخاطبتك لرئيس الدولة مثلا أو الأمير تختلف في أسلوبها وطريقتها عن مخاطبتك لخادمك أو من يعمل عندك، تختلف في أسلوبها عن مخاطبتك لزوجتك وأولادك، وكل ذلك يختلف عن مخاطبتك لرئيسك في العمل، أو لمرؤوسك إلى آخر النوعيات التي تخاطبها، بل عن الأمر يمتد أكثر من ذلك على الحالة النفسية التي يكون فيها المخاطب، فإنسان غاضب في قمة غضبه لا يمكن أن تخاطبه بالأسلوب نفسه والطريقة نفسها التي تخاطب هذا الشخص ذاته بها عندما يكون في حالة نفسية سعيدة،هذا له كلام، وهذا له كلام آخر، مخاطبة الإنسان الغاضب لها طريقة أخرى، ولكن إعجاز القرآن يأتي في أنه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا، الغني منهم والفقير والتعيس والسعيد، والخادم والسيد، إنه يخاطبهم جميعا، ويخاطبهم في حالاتهم النفسية كلها، فالإنسان الغاضب إذا سمع القرآن هدئت نفسه، والإنسان السعيد إذا سمع القرآن اهتز في داخل نفسه وزادت سعادته والأمير والخادم والمثقف وغير المتعلم، وهؤلاء جميعا الذين لا يمكن أن يجتمعوا على أي مستوى ولا أن تتوحد عقلياتهم بحيث يكلمهم متحدث واحد، وفي الموضوع نفسه فيفهمونه، تراهم في الصلاة، وقد اجتمعوا في المسجد وجلسوا معا، ويتلى القرآن فيهز قلوبهم جميعا، رغم اختلاف الثقافة والبيئة والحالة النفسية والحالة الاجتماعية وكل شيء اختلافا بينا"[1]

لقد صدق الكاتب وأصاب المحز، كل كلمة قالها أدت ما عليها من حقوق الإعجاز القراني أو حاولت المقاربة لذلك رأيت أن أذكره على طوله دون تصرف.

حقيقة فإذا سألنا أحدا عن الذي يشده في القرآن الكريم، فغالبا ما لا يستطيع أن يصف ما يختلج بصدره وصفا دقيقا كاملا، أي إن القرآن الكريم يخاطب في النفس البشرية أحاسيس وملكات لا يعلمها إلا الله، وهذه الملكات لو عرفناها لعرفنا لماذا تتأثر بأسلوب القرآن، ولكننا سنظل نبحث في السر الذي أعطي القرآن هذه البلاغة.

[1]-المرجع نفسه ص60

إن الجواب عن مثل هذا السؤال ليس من السهولة بمكان إذ أن الله سبحانه وتعالى يخاطب في النفس البشرية ملكات هو خالقها، وان هذه الملكات تتأثر بكلام الله سبحانه وتعالى وتهتز له بدون فارق من فوارق الدنيا، أو من الفوارق التي وضعتها الحياة الدنيا بين الناس. لذلك كان أخشى ما يخشاه الكفار أن يستمع الناس إلى القرآن، ولو كانوا من غير المؤمنين، فقد كان القرآن بمخاطبته لملكات كل نفس يهزها ويجعلها تتأثر به، حتى إن الوليد بن المغيرة حين استمع إلي القرآن قال:" إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة..." والقول معروف.

II-4- كيف استقبل محمد ﷺ القرآن نفسيا؟

يقول الشعراوي في هذا الموضوع : " على أن إعجاز القرآن يجب أن ينظر إليه من الدائرة الأولى التي استقبلته، وهي رسول الله ﷺ ".[1]

ومن هذا المنطلق، ندخل إلى دراسة مبحثنا: كيف تلقى الرسول ﷺ القرآن من ربه؟ وكيف كانت حالته النفسية؟.

للجواب عن هذا، يحسن بنا التعريج ولو باختصار على وصف حالته ﷺ حين نزول جبريل عليه السلام بآي الذكر الحكيم، بل وقبل ذلك أرى أن أذكر باختصار شديد كيف كانت عناية الله برسوله منذ نعومة أظافره حينما أخذته حليمة السعدية تلك لإرضاعه فقال له:" ألم يجدك يتيما فآوى" [سورة الضحى -6-] وتكتمل عناية الله برسوله طول حياته، حتى يبلغ سن الأربعين سن البعثة ليكون الإنسان النموذج الكامل، النبي الرسول خاتم الأنبياء و المرسلين.

ففي هذه السن، يبلغ الإنسان كماله العقلي والعاطفي، وتستقر نفسه على مبادئ وأسس لا يمكن تغييرها، حقيقة أقرها القرآن الكريم : "حتى إذا بلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي...".فمن إرهاصات النبوة: الرؤيا الصادقة و حب الخلوة، فكان يختلي شهرا كاملا من كل سنة في غار حراء.

من هنا، يتبادر إلى الذهن ظلال كثيرة: فالرؤيا الصادقة التي تكشف المستقبل لجعل الفرد ذا حساسية عالية، فتتربى فيه النزعة الإنسانية والإنتماء إلى الغيب والإيمان به، والرسالة

[1] - الشعراوي: المعجزة الخالدة المكتبة العصرية، ج1، ط1.ص ص62-68

السماوية شيء عظيم كيف للبشر أن يتمكن من تلقها وتحمل متاعبها، إذا لم تكلأه رحمة الله وتتهيأ له الظروف النفسية خاصة التي تساعد على تحمل ذلك الحمل الثقيل كما وصفه القرآن الكريم:" إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا".[سورة المزمل -5-]

كما أن حب الخلوة والإنفراد بالنفس، سيما في بلاد العرب حيث الأرض مكشوفة صافية، لا يحجبها حاجب من سحب أو غابات تمنع الرؤية، ففي هذا الوضع يتهيأ العقل والنفس للصفاء والتفكير والتأمل وكل هذا ساعد النبي ﷺ على صفاء نفسه وشفافية أحاسيسه مما يهيئ عقله ونفسه وحياته كلها لتلقي الأمر الشديد لقوله تعالى: " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله". [سورة الحشر -21-]

ولنعد إلى خالته ﷺ حين نزول الوحي عليه:

روت عائشة- رضي الله عنها- كما جاء في صحيح البخاري أن الحارث بن هشام - رضي الله- عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقوله" قالت عائشة -رضي الله عنها- " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتصبب عرقا".هذا هو الجانب الظاهري الحسي لنزول الوحي.

أما الجانب العقلي لقناعته عليه السلام بظاهرة الوحي فقد بدأ مع بداية أول آية نزلت عليه وهي قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خلق"[سورة العلق -1-] فلقد كان أميا، ثم ينقطع الوحي بعد ذلك فترة تقارب العامين، فتشتاق نفسه وتستشرف روحه ﷺ لخبر السماء، ويصور القران حالته النفسية فيقول: " والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى".[سورة الضحى -1-] .

و من بين ما كتب في وصف حالته ﷺ أثناء انقطاع خبر السماء عنه ما أورده الشبالي : "إن فترة انقطاع الوحي كل تلك المدة- وهو أمر هام جدا- أوجدت في نفسه عليه السلام القناعة العقلية التي لا تقبل الجدل بظاهرة الوحي عندما عاد الوحي إليه مرة ثانية وإن حالته النفسية وما وصلت إليه بسبب ذلك الانقطاع، حتى حاول التردي من رؤوس شواهق جبال مكة، لو لا

أن رأى برهان ربه وجاءه جبريل عليه السلام فقال له: " يا محمد أنت رسول الله حقا" فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه".[1]

إن هذه الفترة كانت بمثابة الحجر الذي أرسى عليه السلام قناعته العقلية ولذا نجد القران الكريم يخاطبه في قوله تعالى: " فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" [سورة الضحى-1-] ويذكر السيوطي أنه عليه السلام كان يقول : لا أشك ولا أسأل.

ولقد اختصرت الكلام في الموضوع تجنبا للإطالة و إلا فإن كتب السيرة العطرة تعج بهذه القصص التي تروي تفاصيل ظاهرة الوحي المختلفة.

آمل بهذا أن أكون قد أجبت على السؤال الذي طرحته كمدخل لهذا المبحث: "**كيف استقبل الرسول ﷺ الوحي؟**"

III/- الموازنة من الناحية الدلالية.

III-1 تعريف الدلالة:

الدلالة هي: المصدر من دل أي عنى وقصد، والدلالة مصدر من دل يدل مثل أشار ووجه وأوحى، والدليل هو البرهان والآية والحّجة والعلة والسبب، فدليل وجود الخالق هو خلقه وهذا الكون، والبعرة دليل على مرور البعير، والشمس دليل على الظل كما جاء في الذكر الحكيم: " وجعلنا الشمس عليه -أي على الظل- دليلا".

والدليل السياحي هو الرجل الذي يقوم بإرشاد السياح وتوجيههم إلى مواطن الآثار التاريخية والسياحية في بلد ما.

وعلم الدلالة (sémantique) هو علم قائم بذاته، حديث المنشأ، جزء من علوم اللغة المتعددة كاللسانيات ، فقه اللغة ، النحو والصرف ،المعجمية وغيرها...

[1] الشبالي محمد عبد الله، في ظلال السيرة النبوية، ج1، النبوة وما قبلها دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض. ص 28

والدلالة في اللغة تكاد تكون هي قلب اللغة، فهي تعطي لكل لفظ حقه من المعاني التي يعبر عنها مع ذكر المترادفات، وهو علم واسع.

وليس في القرآن ترادف :[1] هذه حقيقة ثابتة ولا أريد أن أطيل في إيراد الأدلة والبراهين اللغوية والعلمية منذ أوائل الدراسات القرآنية وحتى يومنا هذا حسبي إثباتها لثبوتها، فلو جاز غيرها لجاز وصح استبدال عبارة بأخرى.

تمتاز المفردة القرآنية بميزات ثلاث:

1-جمال وقعها في السمع.

2-اتساقها الكامل مع المعنى.

3-اتساع دلالتها لمالا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى وإن الأمثلة في القرآن الكريم أكثر من أن تعد وتحصى وكلها تؤيد هذه النظرية وتشير إلى أن جرس المفردات القرآنية يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليه، وهناك مفردات قرآنية من نوع آخر يرسم صورة الموضوع لا بجرسه الموسيقى فحسب بل بظله الذي يلقيه في الخيال وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة يلحظها الحس البصير فيما يوجه إليها انتباهه وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية.

لأن كل كلمة تحمل معنى خاصا معينا، لا تحمله الكلمة الثانية، وخير دليل على ما

نقول قوله تعالى: " **قالت الأعراب آمنا قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** " [2] فالإسلام غير الإيمان، والفرق بينهما شاسع، وشتان بين التصديق الظاهري في الجوارح وبين الإيمان القلبي الذي يقرن القول بالفعل.[3]

والنبوة غير الرسالة و " **يا أيها النبي**" غير " **يا أيها الرسول**" ولو كانتا عبارة واحدة لصح استبدال واستعمال واحدة بأخرى، ولو كان ذاك لما استعملها القرآن كلا في سبب معين خاص، بل ولما احتاج أصلا إلى استعمالهما واكتفى باستعمال واحدة منهما في المقامين معا.

1- بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1980م.ص183

2 - الحجرات 14.

3 بكري شيخ أمين: المرجع نفسه.ص183

فمنطقيا نستدل على اختلاف الصيغتين بهذا الاستدلال، أما الجوانب الخفية والحكم الربانية الأخرى فإنها ومهما حاولنا لاستجلاء والاستكشاف والبحث والتقصي عنها، فإنا لن نكشف إلا ما أرته قرائحنا وأبصارنا ولن ندرك ما خفي عنا لأنه من حكم الخالق وعلمه والله أعلم.

وقد يحتاج المرء إلى التريث والتدبر، ليدرك السر في إيثار كلمة على أخرى ولكنه لا يلبث أن يجد سمو التعبير القرآني من ذلك قوله تعالى:"قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلي فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا و قد أفلح اليوم من استعلى،قالوا يا موسى إما أن تلقي و إما أن نكون أول من ألقى".

قد يبدو العجلان المتسرع أن يقول: إما أن نلقي و إما أن تلقي وربما توهم أن سر العدول عن هذا التعبير المتوهم يعود إلى رعاية النغمة الموسيقية، لتتفق الفواصل في الأداء، ذلك ما يبدو بادئ الرأي، أما النظرة المدققة فإنها تكشف رغبة القرآن في تصوير نفسية هؤلاء السحرة، وأنهم لم يكونوا يوم تحدوا موسى بسحرهم خائفين، أو شاكين في نجاحهم، وإنما كان الأمل يملأ قلوبهم، في نصر مؤزر عاجل، فهم لا ينتظرون ما عسى أن تسفر عنه مقدرة موسى عندما ألقى عصاه، بل كانوا مؤمنين بالنصر، سواء ألقى موسى أولا، أم كانوا هم أول من ألقى.

ذلك شيء وهناك إلى جانبه شيء آخر، هو التصوير، فاللفظة ليست وعاء معنى دقيق فحسب، وإنما هي مصدر صورة لها أبعاد، وظلال وحياة وما أكثر الأمثلة.

ولا يختلف اثنان في أن دراسة الآية القرآنية وتفسيرها يتصل اتصالا مباشرا بدراسة المفردة، لأنها هي مادة الآية ومنها تتركب، وكما هو الحال بالنسبة للجملة في الكلام العربي.[1]

إن مما سلمنا به في القرآن الكريم مبدئيا تفرد كل صيغة وكل لفظة بذاتها البنيوية والصوتية والدلالية، تفردا يجعل من العبث أو شبه المستحيل استبدالها بأخرى، أو ما نسميه بالترادف. وحتى إذا كانت النبوة والرسالة لفظين تحويان معنى متقاربا أو متشابها، فإن الاختلاف الدلالي يظل قائما بينهما. وهذا ما سأبينه.

---

[1] بكري الشيخ أمين: التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط4، 1980م ص183

سبق وأن ذكرت أن دلالة كل كلمة في القرآن لها ظلال نفسية بليغة فكل ناحية من نواحي اللفظة القرآنية تتصل اتصالا وثيقا بناحية أخرى، في اتساق وتناسق، تجعل منها ذاتا ناحية متحركة ذات شحنة خالدة، لا يمكن أن تموت أو تخمد بفعل الزمن أو التقادم عند حدود البلاغة فحسب، بل تتعداها لتترك أثرها واضحا بالغا على نمط الرسالة الربانية الملقاة.

فلا أظن أن أحدا سيجد القوة ذاتها والمدلول عينه إذا حدث استبدال لفظة معينة بلفظة أخرى تشابهها في المدلول ، بما يسمى بالترادف، وهنا نلج إلى مبحث جديد، ألا وهو الجانب الصوتي.

IV/- الموازنة من الناحية الصوتية.

IV-1- علاقة صيغة " يا أيها النبي" بنوعية الخطاب القرآني

أود أن استفتح البحث في هذه النقطة للرد الموضوعي لا العاطفي، على من ذهب من المستشرقين أو المغرضين إلي أن نداء الله تعالى لرسوله بصفة " **يا أيها النبي** " إنما هو مؤاخذة و لوم و عتاب ليس إلا ،استشهادا بكلام صاحب المعجزة الخالدة: معجزة القرآن الكريم".

يقول الشيخ الشعراوي : " بعض المستشرقين الذين لا يخلو لهم إلا الطعن في هذا الدين و محاولة أخذ الأشياء و تأويل معناها بالتأويل" يحاولون التشكيك في هذا الدين فيما يحويه القرآن الكريم، من عبارات يعاتب فيها الله سبحانه و تعالى نبيه و يتخذون من هذه المواقف ذريعة أن النبيﷺ لم يكن على صواب في أشياء قام بها و هم يستخدمون من القرآن الآيات مثل:

" فاعلم أنه لا اله إلا الله **واستغفر لذنبك** و للمؤمنين و المؤمنات و الله يعلم متقلبكم و مثواكم [سورة محمد -19-].

"ولولا أن ثبتناك **لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا**، إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا" [سورة الإسراء-75/74-].

ويقول الله سبحانه وتعالى معاتبا النبي ﷺ بعد أن أخذ أسرى في غزوة بدر وجعل فداءهم من الأسر تعليم المسلمين القراءة والكتابة :" ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم"

[سورة الأنفال -67-].

وما قيل عن بكاء رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية إلى آخر الآيات التي يعاتب الله سبحانه وتعالى رسوله فيها والتي يستخدمها أولئك الذين يريدون الطعن في هذا الدين كوسيلة للتخطؤ وإظهار أن النبي ﷺ لم يكن على صواب.

يقول الشعراوي ،ردا علي موقف هؤلاء المغرضين و المستشرقين – و الذي أود أن أورده كما جاء دون تصرف –: " وقبل أن أبدأ الحديث عن كل هذه الآيات ومغزاها ومعناها فإن لنا وقفه مع الذين يستخدمونها: هي أنهم يثبتون بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن الكريم منزل من عند الله وأنه لم يحدث فيه تبديل ولا تغيير حتى وصل إليهم، فلو حدث فيه تبديل او تغيير لحذفت منه الآيات التي تتضمن عتابا من الله لرسوله أو على الأقل حرفت. ولكن كون القرآن قد جاءنا وفيه هذه الآيات مع ما يمكن استغلالها فيها وكونها تغيير ولم تتبدل فهي دليل على إن القرآن قد وصل كما أنزله الله سبحان وتعالى، وتأكيد للآيات الكريمة".

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ [سورة الحجر-9-].

وهو رأي فيه من المنطق والموضوعية القدر الكبير ولو تبنيته واكتفيت به لكفاني:

فكون هذه الآيات نزلت في القرآن الكريم في زمن رسول الله ﷺ حيث كان يتلقى القرآن من الوحي ويبلغه للمؤمنين، ومن هنا فانه ﷺ التي فيها عتاب من الله سبحانه و تعالى لرسوله و قبل ذلك،أود التطرق إلى نقطة هامة حاول المشرفون من خلالها التشكيك في مصدرية القرآن الكريم،و ذلك أن مما يقوله هؤلاء: أن سورة التوبة هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي لا تبدأ ب:"بسم الله الرحمان الرحيم". و يفسرون ذلك بأن محمدا -عليه الصلاة و السلام- قد نسي لأنه كلام بشر و ينسون أن هذه السورة هي التي ذكر الله فيها سبحانه و تعالى أولئك المطرودين من رحمته و من هنا فلا يمكن أن تبدأ بالرحمة." بسم الله الرحمان الرحيم" لا يليق أبدا بموقف كهذا.

لو لم يكن أمينا في إبلاغ الرسالة لأخفى هذه الآيات وما كان أحد من البشر يستطيع أن يعـــرف إذا كانت نزلت أم لا.

"ولو أن هذا القرآن كلام بشر ما كان يحتوي عتابا لرسول الله ﷺ فالبشر من عاداتهم لا يتقبلون النقد ويدعون الكمال وما من منهج بشري يلوم فيه صاحبه نفسه أو يعاتبها بل كل منهج وضعه بشر يحاول أن يوهم الناس بأن هذا هو الكمال المطلق"

IV-2- الكلمة الطيبة وأثرها في النفس في القرآن

حينما خلق سبحانه الإنسان ونفخ فيه من روحه، انطلق الإنسان في مهمته فـــي الحيـــاة وهي عمارة الأرض وتطبيق منهج الله، وكانت أحداث الحياة كلها بالنسبة للإنسان هي الكلمـــة والفعل والنية، خارج إطار هذه الثلاثة لن تجد شيئا في الدنيا، فالإنسان إما أن يـــتكلم أو يبيـــت النية على أن يفعل شيئا أو يفعل هذا الشيء فعلا. ولقد أعطى الله سبحانه وتعالى للكلمة السيادة في الدنيا، لأنها التي يتلقى عن طريقها الإنسان منهج الخالق سبحانه وتعالى، ومـــنهج الله هـــو كلمات الله إلى خلقه، والكلمة هي أساس سيادة الإنسان في الأرض.

ذلك أنه لولا الكلمة ما استطاع إنسان أن يدور فكرا، وما استطاع الإنسان أن يستفيد من علم غيره، والإنسان يرث الحضارات عن طريق الكلمة، ويرث العلم عن طريق الكلمة، ويرث التقدم عن طريق الكلمة، كخلاصة لهذا نقول لو أننا لم نعط من الله سبحانه وتعالى الكلمة، مـــا أمكن لعلم أن يدون ولا لتقدم أن يعلم، ولتوقفت كل الحضارات السابقة عند جيلها وماتت.

والكلمة تعبير عن شيء ما، دلالة عن مفهوم راسخ وتصور حاصل، هذا عـــن الكلمـــة البشرية المتبادلة بين إنسان وإنسان على وجه الأرض، لكن هذا التعبير لا يأتي من مطلـــق و لا من فراغ، بل لابد أن يوجد المعنى في الذهن أولا، ثم بعد ذلك تأتي الكلمة التي تعبر عنه.

وتعجبني عبارة للشعراوي يقول فيها: "...فإننا إذا ذكر لفظ الجلالة فهمناه جميعا دونمـــا حاجة إلى شرح، ولذلك فإن الإيمان ضرورة لغوية، لأن اللفظ في اللغـــة لا يطلـــق إلا علـــى موجود ولا يفهم إلا إذا كان ما يطلق عليه موجودا، ومعنى فهمنا للفظ الجلالة أن الله ســـبحانه

وتعالى موجود وكلنا يعلم وجوده " والله سبحانه وتعالى ذكر الكلمة فـــي القـــرآن الكـــريم فـــي مواضع كثيرة حيث قال :[1]

" وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ " [الأنعام 115]

" إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس:82]

ولذلك فإن كلمات الله سبحانه وتعالى هي تمام فعله، لأن الله عزيز، قوي، فعال لما يريد وقد استعمل الله سبحانه وتعالى لفظة " كلمة" مفردة أو مضاعفة أو جمعا كثير في كثيـــر مـــن المواضع في القرآن الكريم، وإذا شئنا تتبع ذلك فقد وردت كما يلي:

قال الله تعالى لبني إسرائيل:

" وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ " [الأعراف: 137]

وقال في قوم يونس:

" إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ " [يونس: 96]

وقال أيضا:

" وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ " [غافر: 06]

وقال:

" وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ " [فصلت: 45]

---

[1] الشعراوي: المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، المكتبة العصرية صيدا بيروت،ج 1 ط 2005.ص75

وقال حكاية عن آدم عليه السلام:

" فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ " [البقرة: 37]

وقال عن إبراهيم عليه السلام:

" ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ " [البقرة : 124]

وقال: قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ [الكهف: 109].

وهكذا نرى أن الله عز وجل قد استخدم لفظ **كلمة** بمعنى أنه أمر يتم ولا رجوع فيه، وليس مجرد حروف تخضع لنظام صوتي أو نحوي أو صرفي لتدل على معنى معين، ولكن الله سبحانه وتعالى قد يلقي بكلمة واحدة في عدة مواضع، ولكنه يفرق بين معانيها، فيعطي للكلمة نفسها معنى معينا في موضع، يختلف عنه في موضع آخر ...وهكذا، وهذا هو سر الإعجاز اللغوي في الأسلوب القرآني. على أن إعجاز القرآن يجب أن ننظر إليه من الدائرة الأولى التي استقبلته، وهي رسول الله ﷺ، فالمنطقي والطبيعي ما دام القرآن كلام الله سبحانه وتعالى يكون أبلغ الكلام، ويكون فيه معجزة، وبلاغة القرآن لها عناصر لابد أن تتوفر فيها، فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى حال المخاطب بالذات، ولكن العجيب أن القرآن في هذه الناحية وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فيه معجزة كبرى... لماذا؟ لأن أحوال الناس متعددة متغيرة، وأنت حين تخاطب إنسانا إذا لم تعرف ما في نفسه، فإنك لا تستطيع أن تصل إلى أعماقه.[1]

[1] الشعراوي، محمد متولي: المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ج1، الطبعة 1، 2005م.ص72

IV-3- صيغة " يا أيها النبي":

إن الله سبحانه وتعالى **هو أعلى هيئة أعلى خطابية علي الإطلاق، وذلك لأنـــه علـــيم بـــذات** الصدور، عليم بحقيقة **الأشياء المطلقة.**

فإذا كان الخطاب **البشري بين إنسان وإنسان آخر يخضع ويراعي** اعتبارات عدة معينـــة مثل:

*حالته المادية.

*حالته النفسية

*حالته الاجتماعية

* شريحته الاجتماعية **أي انتماؤه الطبقي**

*علاقته بالنسبة إليك

فمثلا لا يكون **خطابك لزوجتك مثل طريقة مخاطبتك لصديقك ولا يكون خطابك لصديقك** مثل خطابك لإنسان تقابله أول مرة، وتكون مخاطبتك لرئيس أو **ملك كمخاطبتـــك لمـــن يعمـــل** عندك وهكذا...

كل ذلك يتطلب أسلوبا خاصا بكلمات ذات دلالات خاصة ونبرة خاصة في قالب وسياق خاصين. هذا عن الأسلوب البشري بين الناس.

ولكن إعجاز القرآن اقتضى أسلوبا متميزا فريدا وحيدا ليس كمثله شيء، و تفسير ذلـــك **أولا:**من جهة كونه صادرا من ذات عليا قادرة عليمة إلى غير ذلك من صفات الخالق.

ثانيا: كونه يحيط بالحالات النفسية للمخاطبين جميعا: الغني مـــنهم والفقيـــر، والتعـــيس مـــنهم والسعيد، والخادم منهم والسيد إلى آخره...

حتى إن الوليد بن المغيرة حين استمع إلى القرآن قال: " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن **أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه"** والحديث معروف.

V- من الناحية النحوية الصرفية.

V-1- صيغة "يا أيها النبي" من الناحية النحوية و الصرفية:

المنادى وموقف النحويين منه:اختلف النحويون في هذا الموضوع فمنهم من عدة جـزءا من المفعول به و منهم من عده موضوعا مستقلا، ولابد لنا من تعريفه فإنه المطلوب إقباله، أي الذي تطلب منه أن يقبل عليك بوجهه، فخرج بذلك المندوب، لأنه المتفجع عليـه لا المطلـوب إقباله، وبحرف نائب مناب " أدعو" فخرج، نحو: محمد، من قولنا: أطلب إقبال محمد.

*والمنادى عند محمود بن عمر بن عمر الزمخشري [1]: كل ما دخلـه "يـا" وأخواتهـا، والمندوب عنده منادى على وجه التفجع.

وقد جاءت آراء كثيرة جدالا يتسع مجال لذكرها الآن، ويمكن أن نلخـص هـذه الآراء النحوية المتقدمة في المنادى على النحو الآتي:

1-يعد جزءا من المفعول به، قال به ابن هشام الأنصاري.

2-يعد أحد المفعولات، وهو مذهب البصريين، فلا يعدونه جزءا من المفعول به بل هـو نظير له، هذا من جهة استقلاله أو ضمه إلى موضوع آخر والراجح أنه موضوع مستقل بذاته، يضاف إلى المفعولات المعروفة، لأنه منصوب بفعل يتعدى إلى منصوب واحد، وتقدير فعلـه " أدعو" أو "أنادي" أو " أطلب" أو " أسأل" والفرق بينه وبين المفعول به أن لا يظهر أبدا بخـلاف المفعول به الذي يجوز إظهاره من جهة، وعوض عن فعله بحرف النداء الذي أظهـر الفعـل بعده، على رأي البصريين، من جهة أخرى.

3-أدخل بعض النحويين مواضع أخرى فـي المنـادى، مثـل المنـدوب والمـستغاث والاختصاص.

[1] كتاب سيبويه، 3 /303.

والذي أراه أن تلك المواضيع مستقلة عنه، لأن لها أحكاما تميزها وتخصها، فلا داعـــي لإقحامها في هذا الموضوع عن طريق التأويل ولمح المعنى من طرف معين قد يتفق مع المراد من المنادى.

حروف النداء:

لم تنفرد-يا- بالنداء فقط بل شاركتها سبعة أحرف أخرى في ذلك و هي:

الهمزة المقصورة-أ- و الممدودة-آ-و -أي- المقصورة-آي-الممدودة و -أيا-و -هيا- و هذه أبدلت همزتها هاء فهي السابقة في الأصل و هذا الإبدال جـــائز لا تحـــاد مخرجـــي الهمـــزة و الهاء(أحرف الحلق) و -وا-.

فالمجموع ثمانية أحرف سبعة تفيد النداء القريب و -يـــا- تفيـــد النـــداء للبعيـــد و فـــي موضوعي هذا فان النداء جاء بأداة النداء:يا مقترنة ب"أي"[1] و "ها" أي:"يا أيهـــا"و الهـــاء هنـــا للتنبيه كما هو معروف.و- وا

فالمجموع ثمانية أحرف سبعة تفيد التقريب و"يا" تفيد النداء البعيد وفي موضوعي هـــذا فإن البناء جاء بأداة النداء "يا" مقترنة بأي وها أي يا أيها وها هنا للتنبيه كما هو معروف.

حكم المنادى من ناحية الإعراب والبناء:

حكمة النصب لكن اختلفوا في المنادى المفرد العلم أو المعرفة نحو يا زيد وفي هذا أقوال كثيرة للنحاة لا تغنينا عن شيء فيما يخص موضوع البحث أما ما يهمها من صيغ النداء: فهـــو النداء الموجه إلى معرفة فقد اتفقت الآراء على عدم جواز نداء يا على معرفة بألف ولام ومـــن أجل ذلك وجب اقتران يا أيها حتى يستقيم ويجوز الأمر وهو الذي رد به الكوفيون وأما قولنا يا الله اغفر لنا فإن الألف واللام عوض من همزة إله فتنزلت منزلة حرف من ا لكلمة نفسها فجـــر دخول يا عليها.

---

[1]- د.ناصر حسين علي قضايا يالخوية و صرفية ط 1987م المطبعة التعاونية .

V-2- النحويون و القراءات القرآنية:

استشهد النحويون بالقراءات القرآنية المتواترة وقد عرفوها كما يلي: القراءات القرآنيـــة اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف وكيفيتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرها"[1].

ووقع الخلاف في القراءات القرآنية وكلها حجة وجميع الاختلافات سمعت عن رسول الله -عليه الصلاة و السلام- وأداها القراء.

والذي حمل عليها هو التيسير على الناس لاختلاف لغاتهم لأن القرآن الكريم نزل بعـــدة لغات من لغات العرب، ولم يقتصر على واحدة فقط بل جمع بينها، ولكي يعرف ما في القـــران من فرائض وأحكام وتوجيهات تعددت القراءات تبعا لذلك[2].

وهناك جملة من القراءات لا ترجع إلى اختلاف اللهجات وإنما هي أوجه تجـــري فـــي الفصيح من الكلام واردة على السنة العرب من صرف عنايتها إلى المعاني، فلا ترى باسا فـــي إيراد اللفظ على وجهين أو وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب باقيا في نظمه و مـــأخوذا من جميع أطرافه، وفي هذا توسعة على القارئ وعدم قصده على حرف[3].

و إذا جئنا إلى صيغة " **يا أيها النبي**" من الناحية الصرفية نقول.

إنها من المشتقات و الاشتقاق أي اشتقاق كلمة من كلمة: أخذها منها

إن وجود تناسب بين كلمتين في اللفظ والمعنى يمكن بواسطة رد إحداهما علـــى الأخـــرى ثـــم تردان جميعا إلى المادة الأصلية وهي ثلاث أحرف مثل ضرب "هو فعل ماض وضارب وهـــو اسم فاعل ولأن كل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى و إلا كانت تلك الزيادة عبثا نقول: نبي مشتق من فعل نبأ أو نبأ أي أخبر ومنهم من قال: نبا أي بمعنى نبا السيف عـــن الـــضريبة نبوة ونبوا وسيف ناب أي مفارق له.

ولكن المعنى الأول أصح وأرجح وهو النبأ بمعنى الخبر، ومنه نبي مخبر فـــإذا أخـــذنا برأي البصريين فإنه مشتق من المصدر، وعليه نبي من نبأ وإذا أخذنا بـــرأي الكـــوفيين فإنـــه

---

[1] الزركشي، محمّد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح: محمّد -أبو الفضل إبراهيم- ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1957م، ج1، ص318.

[2] - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة 1954، ص36.

[3] علي. ناصر حسين: قضايا نحوية و صرفية، المطبعة التعاونية بدمشق 1989م - 1409هـ / د ط، ص 42.

مشتق من الفعل الماضي وعليه نبي من نبأ و كلا القولين يجانبه الصواب و ذلك لآمـــرين. أن للمصدر و الفعل الماضي معنيين معجمين ووظيفيين وما كانت هذه صفته لا يصلح أن يكـــون أصلا لغيره والثاني:تتخلف مفردات كثيرة عن رجوعها إلى كل من هدين الأصلين و كلمة نبي بناء على كل ما تقدم ليست باسم فاعل ولا اسم مفعول إنما هي صفة مشبهة لأن هذا النوع من المشتقات كما يقول الاستراباذي[1]

" الصفة المشبهة ليست بقياسية كاسم الفاعل واسم المفعول.... وقد جاءت من الألوان والعيوب الظاهرة قياسية كأسود وأبيض وأدرج وأعور على وزن أفعل".

- فعل ومؤنثه فعلة مثل طرب طربة.

- أفعل ومؤنثه فعلاء.

إلى غير ذلك ولكن الذي يعنينا منها هو هذا الوزن: فعيل مثل: وضؤ فهو وضيء

لأن نبي من فعل: نبأ فهو نبئ أي أنه صفة مشبهة لفعل نبأ وأبدلت الهمزة بياء مدغمـــة فصار نبيء = نبي وذلك لجريانها على الألسنة و قد استعملها سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بهذه الصيغة المشهورة المعروفة" النبي" بتشديد الياء ولم يقل "المنبىء".إن المتأمل لهده الصيغة يلاحظ ما فيها من مدود:يا – ها–وما ضمت من تشديد؛أيها –النبي–بتشديد الياء في كـــل مـــن النبي و أيها. وقد كان بالإمكان قول يا" نبي الله" أو" يا نبي" أو"يا نبيي" وعلى هذا فإن استعمال: "يا أيها النبي "دون غيرها سر آخر من أسرار البلاغة والإعجاز القرآنيين حيث لا ترادف فـــي أسلوبه ولا بين كلماته.

لقد أتيت إلى نهاية هذه المباحث حول صيغة " **يا أيها النبي**" وذلك بغرض موازنتها مـــع الصيغة الأخرى" **يا أيها الرسول**"، ولقد حاولت في دراستي هذه، أن أحيط بحيثيات هذه الصيغة من النواحي الدلالية– البلاغية– النفسية– الصوتية–الأســـلوبية. و اجتهـــدت أن أقـــف علـــى أسرارها، التي تؤثر تأثيرا مباشرا على نوعية الخطاب الإلهي في القرآن، وعلى مضمون الآية التي تليها وأرجو من الله أولا وآخرا أن أكون وفقت ولو بقدر يسير إلى تحقيق هذه الغاية.

---

[1] شرح الرضي على الكافية 3/ 432.

أما فيما يخص الصيغة الأخرى "يا أيها الرسول" و التي لا تقل شأنا عن الأولى بما تستحقه من البحث في جوانب و من زوايا مختلفة، ولكي تتم أطراف الموازنة ارتأيت أن أفـرد لهـا هـي الأخرى هدا الجزء من الدراسة:

المبحث الثّاني: صيغة"يا أيها الرسول":

I/- من الناحية البلاغية الأسلوبية

كلمة عن سورة المائدة التي تحوي الصيغة: " يا أيها الرسول"

قال الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام العـضباء، ناقـة رسـول اللهﷺ ، إذ نزلت عليه المائدة كلها ، و كادت من ثقلها تدق عضد الناقة.

و قال أحمد أيضا، عن عبد الله بن عمرو و قال: أنزلت علـى رسـول الله ﷺ سـورة المائدة و هو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها،و قد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: آخر سورة أنزلت سورة المائدة و الفتح ، و قد روي عن ابن عباس أنه قال :آخر سورة أنزلت (إذا جاء نصر الله و الفتح) و عن جبير بن نفير ، قال: حججت،فدخلت على عائشة ، فقالت لي:يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت : نعم،فقالت : أما إنها آخر سورة نزلـت ، فمـا وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، و ما وجدتم فيها من حرام فحرموه[1] ".و رواه الإمام أحمد عـن معاوية بن صالح ،وزاد: و سألتها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت،القرآن.[2]

لقد تبين جليا ثقل هذه السورة المائدة- ووزنها عند الله، حتى اثاقل عـن حملهـا بعيـر رسول اللهﷺ. وإن كانت هذه السورة قد ثقلت وهي المدنية ذات المائة وعشرين آية، فهذا يعني أن كل آياتها تحمل هذا الوزن مقتسما بينها. فإذا جئنا إلى الآية الواحدة والأربعين المبدوءة بـ "**يا أيها الرسول**" والمختومة بـ "ولهم في الآخرة عذاب عظيم". وهي آية طويلة، طويل نفسها، طويلة عباراتها و تراكيبها ، متفرعة متسعة ظلالها، واسعة تصاويرها وهي سـورة اشـتملت على قصة المائدة في الآيات 112-115 حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السلام مائـدة

1- رواه الحاكم و قال: صحيح على شرط الشيخين.

2- مختصر ابن كثير ، اختصار و تحقيق: محمد علي الصابوني مج I – دار الشهاب- الجزائر

من السماء، ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بصدق عيسى في دعوته، وهكذا نرى أن الأساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء فيها أو أغرب شيء تحدثت عنه.

يقول الحافظ ابن كثير في هذه الآية (41) " نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم).

أي أظهروا بألسنتهم الإيمان وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون (ومن الذين هادوا) أعداء الإسلام وأهله وهؤلاء كلهم (سماعون للكذب).

أي مستجيبون له منفعلون عنه، (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي يستجيبون لأقوام اخرين لا يأتون مجلسك يا محمد، وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك، (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي يتأولونه على غير تأويله ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، (يقولون إن أو تيتم هذا فخذوه وإن لم تأتوه فاحذروا). قيل: نزلت في قوم من اليهود قتلوا قتيلا، وقالوا: تعالوا نتحاكم إلى محمد، فإن حكم بالدية فاقبلوه وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه، والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله بأيديهم من الأمر بالرجم لمن أحصن منهم، فحرفوه، واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم، والاركاب على حمار مقلوبين فلما وقعت ككل الكائنة بعد الهجرة قالوا فيما بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم، فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم، وبين الله، ويكون نبيا من أنبياء الله قد حكم بينكم بدلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلكم.

أقف هنا عن نهاية قصة أو سبب نزول هذه الآية، ولعلي قد أكون ذكرتها في مكان اخر، أو مبحث اخر تحدثت عن أسباب نزولها، ولكن المراد هنا مختلف، ومجال الدراسة أيضا كذلك.

فان أكون أعدت سرد سبب النزول فذلك لأسباب تخدم مبحث الجانب النفسي للرسول ﷺ حين تلقيه لهذه الآية. وأظن أن الملاحظة العميقة لأسلوب هذه الآية وطول نفسها وتفاصيل أوصاف كل فرقة من هؤلاء، حيث استعمل الله عز وجل حرف الجر " من" والذي من بين

معانيه: التبعيض والتصنيف. فذكر أولا: المنافقين وفصل أوصافهم، ثم ذكر الذين هادوا وأوصاف التحريف والغدر و التلبيس وتغيير حكم الله بأهوائهم، لقد وصف الله عز وجل وفصل الحديث لرسوله الكريم ﷺ، مما لا يترك في نفسية رسوله مكانا للسؤال أو مجالا للغموض. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية البالغة التي يوليها الله سبحانه وتعالى لنفسية نبيه، والمراعاة لشعوره. فهو من جهة يشرح له حقيقة هؤلاء وهي النفاق والكفر والتفاهة والسفاهة، فلا يستحقون منه أن يحزن عليهم أو يغتم من أجلهم، فها هي ذي الذات العليا تكشفهم وتجلي وتفضح أنفسهم الوضيعة ونواياهم الدنيئة ومن جهة أخرى يبين له حكما شرعيا ألا وهو رجم الزاني مهما كان ولا ينبغي له أن يغير هذا الحد لمجرد عبث هؤلاء وأهوائهم.

و لذلك، كان السياق في قالب مفصل ومسهب، مبدوء ب " **يا أيها الرسول**" فإن هاهنا مجال للتشريع والتبليغ، لا مكان فيه للأحوال الشخصية أو الاعتبارات الخاصة بالنبي ﷺ كشخص يعيش حياة بشرية بكل ما فيها من أحوال واحتياجات أو غير ذلك.

فأن يكون المقام مقام تبليغ ثم تشريع، يتطلب هذا انتقاء خاصا لكل لفظة، فالابتداء بنداء الرسالة من شأنه أن يوقظ همة الرسول ﷺ و يعده لاستقبال رسالة ربانية خاصة من جهة ويذكره بعبء وشرف هده الرسالة من جهة أخرى.

فقصارا مهمة –محمد عليه الصلاة والسلام– دعوة الناس إلى الله وحده، وإخراجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، والحث على مكارم الأخلاق، والتحذير من الشر والأذى والفواحش إلى غير ذلك من مهام الرسل.

وخلاصة القول: أن في أسلوب هذه الآيات وأمثالها الكثيرة ما يبعث في النفس كل منصف حسن النية مهما كانت نحلته وملته وأقوى معاني اليقين بصدقها، ويزيل منها أي معنى من معاني الشك والارتياب في عمق إيمان الرسول عليه السلام بصحتها، وفي استغراقه فيها استغراقا تاما لا يمكن أن ينبعث إلا من أقوى الإيمان واليقين والصدق الصميم.

II/– من الناحية النفسية:

لعله من نافلة القول قبل أن أبدأ بالحديث في هذا المبحث، أن أعرج على بعض خصائص السور المدنية التي تحدث فيها السابقون، وذلك تمهيدا للحديث عن سورة المائدة.

والتي هي السورة الوحيدة التي شملت الصيغة " يا أيها الرسول" مرتين. مرة في الآية الواحدة والأربعين، ومرة في الآية السابقة والستين من السورة، والآيتان سبق ذكرهما في مكان آخر من البحث.

من بين هذه الخصائص المتعارف عليها ما يلي:

1-اعتبارا من النزول:

-فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة.

-والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة.

2-اعتبارا من المكان:

-فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها كمنى، وعرفات والمدينة.-والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع، ويترتب على هذا الرأي ، عدم ثنائية القسمة وحصرها، فما نزل بالأسفار بتبوك أو بيت المقدس لا يدخل تحت القسمة فلا يسمى مكيا ولا مدنيا، كما يترتب عليه كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيا.

3-اعتبار المخاطب: فالمكي ما كان فيه الخطاب لأهل مكة.

والمدني ما كان فيه الخطاب لأهل المدينة وينبني على هذا الرأي عند أصحابه، أن ما في القران من قوله تعالى: " يا أيها الناس" مكي، وما فيه من قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا" مدني . وبالملاحظة يتبين لنا أن هذا لا يطرد، وأن أكثر سور القرآن لم تفتتح بأحد الخطابين. والقران خطاب الله للخلق أجمعين. والذي يهمني هو البحث في خصائص المدني وهذه بعضها:

تمتاز السور المدينة عموما بما يلي:

1-بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، والمواريث، وفضيلة الجهاد، ونظام الأسرة وصلاح المجتمع، والدولة وقواعد الحكم.

2-مخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، واختلافهم بينهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

3-الكشف عن سلوك المنافقين، **وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطـــرهم على الدين.**

4--طول المقاطع، والآيات في أسلوب الشريعة، ووضوح أهدافها ومراميها.[1]

III/- الموازنة من الناحية الدلالية:

كلنا يعرف ويسلم أن دلالة كلمة بعينها تختلف عن دلالة كلمة أخرى وان كانت مرادفـــة لها، ودلالة الكلمات تأتي من طريقة رصف الحروف من جهة ومعنى أصولها من جهة أخرى. و نعلم كذلك أن للقران أسلوبا انفرد به في تأليف كلامه و اختيار ألفاظه. ولكن الأسلوب غيـــر المفردات و التراكيب التي يتألف منها الكلام وإنما هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات و التراكيب لكلامه.إن القران لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم فمفرداته مفرداتهم و جمله جملهم و قواعد صوغه قواعدهم.من حروف العرب تألفت كلماته ومن كلماتهم تألفـــت تراكيبه و على قواعدهم جاء تأليفه ومع كل هدا أعجزهم بأسلوبه الفذ ومذهبه الكلامي المعجـــز ولو دخل عليهم من غير هدا الباب الذي يعرفونه لامكن أن يتلمس لهم عذر وان يسلم لهم طعن أو شبه طعن.2

إن في مفردات اللغة ما هو متآلف في حروفه أو متنافر وما هو واضح مستأنس أو خفي غريب وما هو رقيق خفيف على الأسماع أو ثقيل كريه تمحقه الأسماع وما هو موافق لقيـــاس اللغة أو مخالف له ثم من هذه المفردات عام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومفصل ومعـــرف ومنكر وظاهر ومضمر وحقيقة ومجاز.

إن مما سلمنا به في القرآن الكريم مبدئيا هو وتفرد كل صيغة وكل لفظة بذاتها البنيويـــة والصوتية والدلالية، تفردا يجعل من العبث أو شبه المستحيل استبدالها بأخرى، أو مـــا نـــسميه بالترادف. وحتى إذا كانت النبوة والرسالة لفظين تحويان معنـــى متقاربـــا أو متـــشابها، فـــإن الاختلاف الدلالي يظل قائما بينهما. وهذا ما سأبينه.

سبق وأن ذكرت أن دلالة كل كلمة في القرآن لها ظلال نفسية بليغة فكـــل ناحيـــة مـــن نواحي اللفظة القرآنية تتصل اتصالا وثيقا بناحية أخرى، في اتساق وتناسق، تجعل منهـــا ذاتـــ

[1] انظر مرجع : التعبير الفني في القران، الدكتور بكري شيخ أمين، ص 50.

ناحية متحركة ذات شحنة خالدة، لا يمكن أن تموت أو تخمد بفعل الزمن أو التقادم عند حـــدود البلاغة فحسب، بل تتعداها لتترك أثرها واضحا بالغا على نمط الرسالة الربانية الملقاة.

فنداء "**يا أيها الرسول**" مادته **الدلالية** مستمدة بدءا من انتقاء اللفظ: **(الرسول)** بذاته الدال على معنى التبليغ والنشر والإعلان من جهة، وعلى معنى المسؤولية.(وما كنا معـــذبين حتـــى نبعث **رسولا**).

وقد جاء في سورة التكوير: "إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾

مما نرى أن **(الرسول** قد ترد بصيغة الغائب، لكنها تحمل الدلالة نفسها.

فما أن يسمع محمد ﷺ هذه الإشارة بالرسالة، حتى يستعد ويعلم أن الأمر جد. فـــالله قـــد ناداه به وقد كان قادرا على ندائه باسمه "محمد" ولكن حكمته اقتضت أن يذكره طول وقت بعثته أنه مخلوق للرسالة موجود من أجلها.

إن الرسالة الله لهذه الرسالة بلفظ **(يا أيها الرسول)** وبهذا الوزن **(فعول)** الذي هو من الناحية النحوية والصرفية صيغة مبالغة من فعل رسل يرسل رسلا، ولهذا المد (الواو) الموجود في، كل هذه الاعتبارات لتؤدي إلى هدف واحد: هو إرسال رسالة التوحيد إلى خلق كافة في الأرض مادامت السماوات والأرض.

ولنأت إلى بعض الأمثلة عن استعمال لفظة **(الرسول)** في صيغ أخرى غير المخاطب، ففي صيغة الغائب يقول تعالى:

"وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون **الرسول** عليكم شهيدا" آل عمران 143.

تعقيب: لقد خص الله تعالى **هذه اللفظة بالذات وشرفها لأداء** معنى الوسطية ثم الـــشهادة علـــى الناس وقال أيضا: "أعلموا أن فيكم **رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر** لعنـــتم ولكـــن الله حبب إليكم الإيمان وزينه **في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان**" (الحجرات:7)

فلنتخيل مثلا لو أنه قال: "أن فيكم **نبي الله**" فهل يستقيم الأمر ويتم المعنى ويفي بالغرض.

لا أظن أن أحدا سيجد القوة ذاتها والمدلول عينه إذا حدث هذا الاستبدال، وهنا نلج إلى مبحث جديد، ألا وهو الجانب الصوتي.

IV/- دراسة هذه الصيغة من الناحية الصوتية:

IV-1- "الرسول" صوتيا:

الرسول: صيغة مبالغة من فعل **رسل يرسل رسلا** ووزنها **فعول**. ونحن نعلم استعمال صيغة أخرى في القرآن الكريم وهي تؤدي المعنى نفسه وهي **مرسل** على وزن مفعل اسم مفعول من فعل أرسل يرسل إرسالا.

ولعل السر في استعمال "**الرسول**" دون "**المرسل**" في هذه الصيغة هو قوة معنى الأولى وتكرار **تلقى الرسالة** من الله فصيغة المبالغة أقوى من اسم المفعول من ناحية المعنى. **فالمرسل** قد **يرسل مرة أو مرتين أو أكثر** لكن **الرسول** دائم **القيام بعبء تبليغ الرسالة** كما أنها في الاصطلاح أكثر شيوعا فيما يخص الأمر بتبليغ الدعوة وهو بمعنى المبعوث إلى الناس كافة.

وقد قال العلماء إن بلاغة الكلمة في القرآن في نفسها أنه لا يوجد غيرها يغني عنها في مواقعها من نظم الآيات لا إفرادا ولا تركيبا"[1]

ولعل الرافعي لم يختلف كثيرا في بحثه عن ابن قتيبة الذي ذكر من جملة ما ذكر أن الإعجاز كامن في الموسيقى القرآنية الصادرة عن حروفه وكلماته وتراكيبه وجمله.

ولذلك ا نرى جليا أن استعمال هذه اللفظة "رسول" بالذات دون غيرها كمرسل أو "مرسول" أو "صاحب رسالة" أمر مقصود بعينه لما فيه من أبعاد صوتية ونفسية ودلالية وبلاغية. فهو رسول قد اختاره الله بالذات ليكون مبعوثه إلى عباده و خصه بهذه الرسالة دون غيره ثم جاء بالنداء "يا" فلم يقل "يا رسول" أو "يا رسول الله" أو قال يا "رسولي إلى عبادي

---

[1] انظر مقدمة إعجاز القرآن الرافعي بقلم محمد رشيد رضا 76.

وكلها من الناحية اللغوية تصح وتبلغ المعنى، ولكن استعمال المنادى معرفا غير مضاف مسبوقا بحرف النداء مقرتنا ب "أي" للتخصيص و "ها" للتنبيه كل هذا يزيد المعنى قوة والأمر تخصيصا ووضوحا. فلا رسول آخر سواه يقصد الله ليوجه له الخطاب.

IV-2- الجانب الصوتي وأثره على المعنى:

لقد أجمع علماء اللغة من أولهم إلى آخرهم، على مسألة اثر المبنى على المعنى، وعلاقة اللفظ بمدلوله، بل وعلاقته وأثر كل صوت وطريقة اجتماعية مع الأصـــوات الأخـــرى علـــى المضمون، وها هنا تكمن أهمية اللسانيات والصوتيات في الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهـــو باب اخر لبحر لا خضم له، يطول الحديث فيه، ولكني أكتفي بالتركيز على اختيـــار اللفظـــة **الرسول**" في هاتين الآيتين بالذات.

إن وزن لفظة " **الرسول**" فعول بما فيه من مد، ليقضي برأيي إلى مد معنوي ما هـــو إلا المد الرسالي الخالد: بخلاف لفظة " **النبي**" التي فيها إدغام واختصار، وكأنني هنا أمام مـــسألة تشبه مسألة : " **يا أيها الناس**" أولا في مكة، و "**يا أيها الذين آمنوا**" فـــي المدينـــة. والحـــديث قياس.

فالوزن الممدود، هو مد ممدود في الهدى الإلهي والخطاب الرباني....ألا تـــرى أن رواد علـــم الإعلام الآلي وأصحاب أكبر وأعظم شبكة معلوماتية اليوم، والتي أطلقوا عليها اســـم " قوقـــل" بهذا الوزن الممدود، فإذا جئت إلى اسمها بالفرنسية وجدتـــه Google بترديـــد حـــرف " o مرتين، وأحيانا تجده مكررا مرات عدة وكأنهم يريدون بذلك أن يروجوا لسعة بحث محـــركهم العظيمة.

خاتمة الفصل الثالث

إن تناول هاتين الصيغتين بالدراسة من مختلف الجوانب و محاولة الكشف عن القـيم الدلاليـة والبلاغية والصوتية إلى غير ذلك من الجوانب لم يكن بالأمر الهين أو المتعارف عليه عادة عند المهتمين بهذا الحقل الدراسي.وقد اجتهدت قدر المستطاع أن اجلي بعضا مـن تلـك الأسـرار الكامنة،معتمدة من جهة على اطلاعاتي السابقة وعلى ما أتاحه لي البحث العلمـي مـن جهـة أخرى.وقد أتاح لي هدا البحث أن اطلع على الدوافع الموضوعية لاختيار كل صيغة ،فوقفـت على شيء من تلك الجوانب الخفية التي قد لا تبدو للوهلـة الأولـى إلا مجـرد اسـتعمالات اعتباطية ليس وراءها أي سر أو تخصيص. وحاولت الموازنة بين تلك الصيغتين و مـا لكـل واحدة منهما من خواص تميزها في الاستعمال والأداء.

ولست أنكر بل أؤكد على الصعوبة التي واجهتني في تناولي لهدا البحـث بفـصوله الثلاثـة، والمتمثلة في ندرة المصادر و المراجع التي تعالج هده المسألة الخاصة و الفرق الرفيع ما بـين هاتين الصيغتين اللهم إلا تلك الفروق المتعارف عليها منذ القدم والتي لا تكـاد تكـون مجـرد منطلقات نظرية أو تعاريف نعتمدها في بدأ المبحث ليس إلا.

الاجتماعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

وبعد كل هذه الرحلة العلمية في كنف السيرة العطرة ، وبين طيات التفسير المستنير بآي الذكر الحكيم و المتبصر بنفحات الإيمان بالله و برسله وكتبه وملائكته و تحت ظلال اليقين الخالص بأن هذا الدين حق و رسالة الله حق و لا حق سواه.أمكن لي بعون الله أن أدلي ولو بالشيء اليسير في هدا البحر العميق لأساهم في إثراء الساحة العلمية عموما، وساحة الدراسات البلاغية و القرآنية على وجه التخصيص.

ومن البحث المستفيض في هذا الموضوع الذي قسمته إلى ثلاثة فصول كل فصل إلى مباحث وكل مبحث إلى فروع أو عناصر تراوح المنهج فيه ما بين المنهج الإحصائي و الوصفي التحليلي و الاستقرائي.

و لقد تمكنت في الأخير أن أسجل الملاحظات أو النتائج التالية.

1- إن الخطاب الإلهي الموجه للرسول ﷺ بصيغه كلها هو المحور الذي يدور عليه القرآن كله والوسيلة التي لا يكاد يخلو منها نص لإيصال الرسالة التشريعية و العقدية.

2- الخطاب الإلهي الموجه إلى الرسل عامة و إلى الرسول ﷺ خاصة باعتباره خاتم الأنبياء والرسل يأخذ طوابع عدة و يصطبغ بألوان وأغراض مختلفة تتباين فيما بينها تباينا يتلاءم مع طبيعة الموقف و المقام،بأسلوب يتراوح بين أمر ونهي أو ترويح و مواساة أو استفهام بمختلف أغراضه البلاغية المعروفة.

فإذا وصلنا إلى الآيات التي فيها شيء من العتاب و اللوم على رسول الله ﷺ و على بعض التصرفات التي صدرت منه في مواقف معينة من حياته الشخصية،لم نجد لهذا المصطلح وجودا ،وان كنا قد استعملناه فدلك تجاوزا و مجاراة لما اصطلح عليه من تسمية لتلك الآيات المبدوءة بصيغة – **يا أيها النبي**-.

إن هذا العتاب لم يكن إلا حتمية اقتضاها الموقف وأملها الضرورة لم يكن هناك وسيلة غيره لدلك الموقف والله أعلم كيف يقدر الضرورات وكيف يقدر لها الوسائل و الأساليب ."لا يسأل عما يفعل و هم يسألون".كل ذلك يأتي في نطاق التربية الخلقية و السلوكية لذات رسول الله ﷺ استكمالا لسبر شخصية النبي ﷺ، وصقلها. كيف لا؟ وهو علام الغيوب.

خاتمة

وبعد كل هذه الرحلة العلمية في كنف السيرة العطرة ، وبين طيات التفسير المستنير بآي الذكر الحكيم و المتبصر بنفحات الإيمان بالله و برسله وكتبه وملائكته و تحت ظلال اليقين الخالص بأن هذا الدين حق و رسالة الله حق و لا حق سواه.أمكن لي بعون الله أن أدلي ولو بالشيء اليسير في هدا البحر العميق لأساهم في إثراء الساحة العلمية عموما، وساحة الدراسات البلاغية و القرآنية على وجه التخصيص.

ومن البحث المستفيض في هذا الموضوع الذي قسمته إلى ثلاثة فصول كل فصل إلى مباحث وكل مبحث إلى فروع أو عناصر تراوح المنهج فيه ما بين المنهج الإحصائي و الوصفي التحليلي و الاستقرائي.

و لقد تمكنت في الأخير أن أسجل الملاحظات أو النتائج التالية.

1- إن الخطاب الإلهي الموجه للرسول ﷺ بصيغه كلها هو المحور الذي يدور عليه القرآن كله والوسيلة التي لا يكاد يخلو منها نص لإيصال الرسالة التشريعية و العقدية.

2- الخطاب الإلهي الموجه إلى الرسل عامة و إلى الرسول ﷺ خاصة باعتباره خاتم الأنبياء والرسل يأخذ طوابع عدة و يصطبغ بألوان وأغراض مختلفة تتباين فيما بينها تباينا يتلاءم مع طبيعة الموقف و المقام،بأسلوب يتراوح بين أمر ونهي أو ترويح و مواساة أو استفهام بمختلف أغراضه البلاغية المعروفة.

فإذا وصلنا إلى الآيات التي فيها شيء من العتاب و اللوم على رسول الله ﷺ و على بعض التصرفات التي صدرت منه في مواقف معينة من حياته الشخصية،لم نجد لهذا المصطلح وجودا ،وان كنا قد استعملناه فدلك تجاوزا و مجاراة لما اصطلح عليه من تسمية لتلك الآيات المبدوءة بصيغة – **يا أيها النبي**-.

إن هذا العتاب لم يكن إلا حتمية اقتضاها الموقف وأملها الضرورة لم يكن هناك وسيلة غيره لدلك الموقف والله أعلم كيف يقدر الضرورات وكيف يقدر لها الوسائل و الأساليب ."لا يسأل عما يفعل و هم يسألون".كل ذلك يأتي في نطاق التربية الخلقية و السلوكية لذات رسول الله ﷺ استكمالا لسبر شخصية النبي ﷺ، وصقلها. كيف لا؟ وهو علام الغيوب.

وكيف لا؟ وهو الذي يعلم السر وأخفى؟

وكيف لا؟ وهو اقرب إلينا من حبل الوريد.

وكيف لا؟ وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وكيف لا؟ وهو القائل: "أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟"

3- لم يفرق الله في خطابه لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم بين ندائه له ب "**يا أيها الرسول**" و "**يا أيها النبي**".

فكان الأول خاصا بالتبليغ والثاني خاصا بالعتاب والتأنيب، مجردا من التبليغ، على حد زعم المدعين من المستشرفين أو غيرهم، ممن تبعوا رأيهم واتخذوا له أعذارا واهية لا تكاد تستند إلى دليل، اللهم إلا إيهاما لذوي العقول الضعيفة فكانت كبيت العنكبوت غير أن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

هؤلاء المستشرقون ادعوا أن نداء النبي بـــ "**يا أيها النبي**" إنما هو إنقاص من شأنه ﷺ فيما يخص رسالته، وتجريده منها حال هذا النداء على اعتبار أن هذا الاستعمال قد خص الله به نبيه ﷺ في أحواله الشخصية وحالاته الخاصة، في حياته اليومية مع أزواجه والناس حوله.

فخاطبه كشخص عادي ليس له أدنى علاقة بالرسالة أو التبليغ. وبالتالي فهو على -حد زعمهم- إنقاص من شأنه وحط من مكانته عند ربه.

بالمقارنة مع "**يا أيها الرسول**" والتي ذكرت في القرآن لله مرتين.

فإذا سلمنا بهذه الادعاءات واتخذناها معطيات ننطلق منها في تحليلنا الموضوعي فلدينا هنا بعض الأسئلة نطرحها على هؤلاء منها:

- ما دامت مكانة الرسل عامة والرسول محمد ﷺ خاصة، تأتي فقط من كون الله قد اختارهم واصطفاهم من بين الخلق، **لحمل الرسالة الربانية "النبوة" ثم تبليغها للعالمين كافة "الرسالة" فهي أساس اختيارهم**، فكيف يكتفي الله سبحانه وتعالى بذكر "**الرسول**" وندائه مرتين فقط؟ في القرآن كله، وثلاثة عشرة مرة يناديه **بالنبي**؟ هل العتاب أولى من الرسالة؟ أم هل العتاب يلغي الرسالة؟.

ألم يكن الله قادرا على ملئ القرآن كله بـــ "**يا أيها الرسول**" حتى تؤمنوا؟ وحتى تطمئنوا؟.

بل ألم يكن في وسع الله مثلا استبدال "**يا أيها النبي**" بـــ "**يا أيها الرسول**" ويكفيكم شر التشكيك "ولكن هيهات أن تأخذ لفظة مكان أخرى إنه القرآن وهذه ألفاظه، أختيرت من لدن حكيم خبير.

وعليه فنقول: إن هذا تحليل خاطئ منطقيا من جهات عدة:

إن المخاطب وهو **شخص الرسول** ﷺ هو بعينه، بكونه واعتباره **رسولا نبيا**. وهذا في السياق القرآني قال تعالى: ".... كان رسولا نبيا....." فكيف تختلف الأمر بعد ذلك في الشخص عينه، بمجرد استعمال لفظ آخر للشخص نفسه، ما هو إلا صفة له "**النبوة**" لا تكاد تنفصل عن الرسالة أو تبتعد عنها، وهما أشد ما يكون عليه المترادفان قربا ولصوقا، الرسالة والنبوة. فهذه من هذه، بل إن الثانية "الرسالة" ما كانت لتكون لولا الأولى، فالنبوة هي المرحلة الأولى لإنطلاق الرسالة، إلا أن هذه الأخيرة هي أشمل وأوسع وأتم. وإن محمدا ابن عبد الله لهو نبي مرسلا رسول خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما مسألة التفاضل بين الرسل، فهي في الحقيقة أمر غيبي لا يحق لنا الخوض فيه إلا اجتهادا.

وما علينا نحن البشر إلا الإيمان بهم جميعا وبرسالتهم وكتبهم والصلاة عليهم، تلك الرسالات التي تصب جميعها في مصب واحد ألا وهو التوحيد.

هل كان الأنبياء الذين لم يكلفوا بالتبليغ من غير أولي العزم، يدعون إلي غير التوحيد؟ أم هل حالت نبوتهم مجردة من الرسالة دون حمل فكرة التوحيد؟ .

4- إن الله سبحانه وتعالى أوسع وأعلى وأعلم، فهو إذ استعمل الصيغتين، وسع وأغنى الأسلوب وجعله لينا مرنا حسب ملابسات الحياة المختلفة ولم يضيق الأمر أو يحصره وفي كل حكمة.

فالمراوحة في الخطاب للرسول ﷺ تماشيا مع كل الأحوال والظروف التي مر بها أمر ضروري. فأعطى لكل مقام مقاله وحقه، ألا ترى أن الوالد وهو يربي ابنه وهو أشد ما يكون عليه حرصا وحنانا ومحبة، ألا ترى أنه تارة يعانقه وتارة يحادثه وتارة أخرى ينصحه، وأخرى يؤدبه، وتارة يلين معه أو يقصوا.... إلى غير ذلك من صور التربية، وكلها تصب في مصب واحد هو: الحب والحنان،هو رغبة التربية والإصلاح،و الدافع في ذلك هو الخوف على الولد من الانحراف، ووالله لو اكتفى الوالد بالتدليل والمداهنة، واللين والمسايرة في كل الأحوال.

لخرج الولد منعما مترفا، أو مغرورا متمردا، أو متكبرا متعجرفا، أو عاقا غير مبال بشيء، أو أنانيا مدللا حتى ليكاد والده لا يقدر عليه ولا يتحمله. هذا المثال أورته لتقريب الحال، ولكنه بعيد كل البعد عن رب وعبده. فكيف والشأن ما بين رب وعبده إله ورسوله، رسول مبعوث للعالمين برسالة خالدة.

ألا يكون أحوج العناية والتربية والتوجيهْ والمتابعة؟ ألم يكن إلا "بشرا رسولا؟"

فكيف لا يكون الخطاب بعد ذلك كله بما فيه العتاب والتبليغ إلا ضرورة اقتضتها الحكمة الربانية فكل صيغة قد خدمت دورها وأدت هدفها ولا غنى لواحدة عن الأخرى.

الرسالة خدمت الأمة والزمان كله. والنبوة يا أيها النبي خدمة الشخص الفرد في الأسرة والزوج والمسؤول عن المعركة كما في صورة الأنفال إلى غير ذلك من الأحوال الشخصية الواردة على أي شخص يعيش حياته فوق هذه الأرض ذلك ليثبت الله بشريته وقد كان قادرا أن يتخذ بدلا منه ملائكة يخلفونه ولا يخطئون أبدا.

5- إن النبي محمد ﷺ على خلاف باقي الأنبياء، لم ينادى بصيغة "يا محمد" مجردة، فحتى عندما يذكر الله اسمه، فإنه يذكره دائما مقترنا بالرسالة ولم يقرن بالنبوة كما في الآيات:

1- وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ (آل عمران 144.)

2- مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح. 29.)

3- "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ (الأحزاب. 40.)

وأخيرا وليس آخرا، **فحمدا لله على هذا التوفيق الذي ما كنت لأوفق لو لا أن هداني إليه.**

لقد حاولت – **قدر ما أستطعت– أن ألمّ بأطراف هذا الموضوع المتشعب، وأتجه** دوما نحو الهدف المرسوم. فإذا أصبحت المحز ورميت الهدف، وصح اجتهادي، فمن الله والحمد الله،

وإن أخطأت الطريق وحِدت عن الحق فمن نفسي، وإنما يشفع لي حسن النية، وصفاء السريرة والإخلاص لكتاب الله.

وإني لأرفع **يدي في خاتمة هذا البحث إلى الله تعالى داعية مستغفرة: "ربنا لا تؤاخذنا إن** نسينا أو أخطأنا، **ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما** لا طاقة لنا به، واعفُ **عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمـــــة المصـــــادر و المراجـــــع.

- القرآن الكريم برواية حفص.

أولا: المصادر

1 الجلالين (الجلال المحلى و الجلال السيوطي): تفسير الجلالين، تحقيق و تنسيق: الشيخ محمّد الصادق القمحاوي، دار رحاب -الجزائر 1345هـ-.

2 الزمخشري: الكشاف عن الحقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، ط2، بيروت -لبنان-، دار الفكر 1987م.

3 السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت 1983م.

4 الطبري ابن جرير: تفسير الطبري، دار الفكر 1978م.

5 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن -دار الكتب المصرية القاهرة 1935م-.

6 أبو حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ط2، دار الفكر القاهرة، 1983م.

7 سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة 1993م.

8 سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط15، 1996م.

9 عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرح سيد أحمد صقر، ط2، القاهرة، دار التراث، 1973م.

10 عماد الدّين أبو الفدا إسماعيا بن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، اختصار و تحقيق: محمّد علي الصابوني، دار الشهاب، الجزائر، د.ت.

11 قطب، سيد: في ظلال القرآن، موقع "أمّ الكتاب للأبحاث و الدّراسات الإلكترونية، أفريل 2005.

12 محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الفكر 1983م.

13 محمود بن الشريف: الطبري و منهجه في التفسير، عكاظ، شركة مكتبة عكاظ، 1984م.

14 مذكّرة في تفسير سورة المائدة لعدّة مؤلّفين.

ثانيا: المراجع

15 ابن الشيخ الحسين سفيان: المعجزة القرآنية، ط1، دار الشهاب -باتنة الجزائر، 1985م.

16 البيهقي. أبو بكر بن الحسين: دلائل النبوة، ط2، مج1، تحقيق: عبد الرحمان محمّد عثمان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1983م.

17 الخباص، عبد الله عوض: سيّد قطب، الأديب الناقد، شركة الشهاب للنشر و التوزيع، مكتبة المنار، د.ت.

18 الزركشي، محمد بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1957م.

19 السيد سليمان الندوي: الرسالة المحمّدية، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ط2، 1983م.

20 الشعراوي، محمّد متولي: المعجزة الخالدة، معجزة القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1 و ج2، الطبعة 2005م.

21 الصابوني، محمّد علي، قبس من نور القرآن الكريم، مكتبة رحاب الجزائر، ط2، 1987م - 1407هـ.
22 الغزالي، أبو حامد: جواهر القرآن، ط4، تحقيق: عادل نويهض و د. جميل صليبا و د. أحمد فؤاد الأهواني، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1979م.
23 الغزالي، محمّد: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الهدة للطباعة و النشر و التوزيع -عين مليلة، د.ت.
24 الفليقلي، عادل عبد الله: كشوف جديدة في إعجاز القرآن الكريم، ط2، دار الشهاب للطباعة و النشر، د.ت.
25 المباركفوري، صفي الرحمان: الرحيق المختوم، دار البيان العربي، ط17، 1426هـ - 2005م.
26 المطلبي، محمّد بن إدريس الشافعي: الرسالة، تحقيق و شرح أحمد محمّد شاكر عن أصل بخط الربيع بن سلمان كتبه في حياة الشفعي، د.ت.
27 النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: أسباب النزول، ط1، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، 1411 هـ- 1991م.
28 أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، بيروت، مؤسسة الرسالة الثقافية، 1991م.
29 أبو زكريا يحي بن زياد الفراء: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي -محمد علي النجار، ج1، الدار المصرية، القاهرة، 1955م.
30 أبو عثمان الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط4، دار الفكر، بيروت -لبنان، د.ت.
31 أحمد صبحي منصور: القرآن و كفى، 23 مارس 2007، موقع الإنترنت: WWW.ahl-alquran.com، في رده على الأستاذ: سامر أبو علي.
32 بكري شيخ أمين: التعبير الفني في القرآن الكريم، بيروت، دار الشروق، الطبعة الرابعة 1400 هـ -1980م.
33 حفني، عبد الحليم: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، ط2، مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
34 سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1998م.
35 عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير في القرآن، الفاصلة القرآنية و حروف القرآن، الرياض، دار المريخ، 1982م.
36 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الإسكندراني، دار الكتاب، بيروت، ط2، 1998م.
37 عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمد شاكر، مكتبة الخانجي، 1989م.
38 غازي عناية: هدى الفرقان في علوم القرآن، ج1، دار الشهاب باتنة، د.ت.
39 فضل الله محمّد الحسين: الحوار في القرآن، ج1، قواعده، أساليبه، وعطياته، دار المنصوري للنشر، مطبعة سراوي - د.ت.
40 فضيلة الشّيخ عبد الرّحمان بن ناصر البراك، من الإنترنت، الرسول و النبي، أفريل 2007.
41 مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، 1981م.

42 محمد أحمد خلف الله: ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: زغلول سلام، دار المعارف بمصر 1960م.

43 محمّد عبد الله الشبالي: في ظلال السيرة النبوية، ج1: النبوة و ما قبلها، دار عالم الكتب للنشر و التوزيع، الرياض، د.ت.

44 محمّد عزة دروزة: القرآن المجيد، الناشر: المكتبة العصرية –صيدا بيروت، المطبعة العصرية للطباعة و النّشر، لبنان بيروت، د.ت.

45 محمّد قطب: دراسات قرآنية، دار الشروق، د.ت د.ط.

46 مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، بيروت، دار الفكر العربي، د.ت.

47 مطهري، مرتضى: الوحي و النبوة، مقدمة على النظرة الإسلامية للعالم، ترجمة: الأستاذ عباس ترجمان، دار المحجة البيضاء – دار الرسول الأكرم، بيروت لبنان، 2000م. –1424هـ.

48 موقع من الإنترنت خاص بالإحصائيات القرآنية، جانفي 2002.

49 موقع من الإنترنت: الفرق بين الرسول و النبي، أفريل 2007.

50 ناصر حسين علي: قضايا نحوية و صرفية، ط2، المطبعة التعاونية، 1987م.

ثالثا: قائمة الكتب الأجنبية

51 ديل كارنيجي: فن الخطاب اكتساب الثقة، دار السلام، الجزائر، د.ت.

رابعا: قائمة المعاجم

52 ابن منظور أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: لسان العرب، نسخة من الإنترنت، دار صادر، بيروت، ط1، عدد الأجزاء 15.

53 ابن منظور: لسان العرب، دار الجيل، بيروت، 1408هـ – 1988م.

54 الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت لبنان، د.ت.

55 مجد الدّين محمّد بن يعقوب، الفيرزأبادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1978م.

56 هارثمان و ستورك: معجم اللّغة و علم اللّغة.

خامسا: الدوريات و المجلات و البحوث الجامعية

57 سعودي النواري: بنية الخطاب القرآني في السور المكية: دراسة وصفية تحليلية رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، د.ت.

58 صالح غريبي: الآية القرآنية بين الإعجاز اللغوي و العلمي، دراسة وصفية وظيفية، السور المدنية نموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإفطار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	رقمـــــــــها	الصفحـة
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ... ﴿٦٤﴾	الأنفال 64	08
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ... ﴿٧٠﴾	الأنفال 70	08
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿٧٣﴾	التّوبة 73	09
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿١﴾	الأحزاب 01	09
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ... ﴿٢٨﴾	الأحزاب 28	09
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾	الأحزاب 45	09
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ... ﴿٥٠﴾	الأحزاب 50	09
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ ... ﴿٥٩﴾	الأحزاب 59	10
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ... ﴿١٢﴾	الممتحنة 12	10
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ... ﴿١﴾	الطّلاق 01	10
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ... ﴿١﴾	التّحريم 01	10
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿٩﴾	التّحريم 09	11
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾	النّمل 35	17
ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ ... ﴿٧٥﴾	يونس 75	18
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ... ﴿٤٠﴾	الأحزاب 40	19
قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ... ﴿٣١﴾	آل عمران 31	20
قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ... ﴿٣٢﴾	آل عمران 32	20
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ... ﴿٦٥﴾	النساء 65	20
مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ ... ﴿٨٠﴾	النساء 80	20
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ ... ﴿١١٣﴾	النساء 113	20
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ... ﴿٤١﴾	المائدة 41	21
وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ... ﴿٤٩﴾	المائدة 49	21
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٦٧﴾	المائدة 67	21
قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ... ﴿٣٣﴾	الأنعام 33	21
وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ ... ﴿٣٥﴾	الأنعام 35	21
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ وَمَا جَعَلۡنَـٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ... ﴿١٠٧﴾	الأنعام 107	21
كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ ... ﴿٢﴾	الأعراف 02	22
قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ... ﴿١٨٨﴾	الأعراف 188	22

عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ... ﴿٤٣﴾	التوبة 43	22
وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ... ﴿٦٥﴾	يونس 65	22
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ... ﴿١٢﴾	هود 12	22
وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾	يوسف 103	22
وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾	يوسف 104	22
كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ ... ﴿٣٠﴾	الرعد 30	23
وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴿٣٢﴾	الرعد 32	23
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ... ﴿٤٠﴾	الرعد 40	23
ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾	الحجر 3	23
وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾	الحجر 6	23
مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾	الحجر 8	23
لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ... ﴿٨٨﴾	الحجر 88	23
فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾	الحجر 94	23
إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾	الحجر 95	23
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾	الحجر 97	23
إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ... ﴿٣٧﴾	النحل 37	24
ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ... ﴿١٢٥﴾	النحل 125	24
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾	النحل 128	24
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ... ﴿٥٤﴾	الإسراء 54	24
وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴿٧٣﴾	الإسراء 73	24
وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ... ﴿٧٦﴾	الإسراء 76	24
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ... ﴿٨٦﴾	الإسراء 86	24
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾	الإسراء 87	24
فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ... ﴿٦﴾	الكهف 6	25
وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ... ﴿٢٨﴾	الكهف 28	25
طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾	طه 1-2	25
تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾	طه 3	25
فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ... ﴿١١٤﴾	طه 114	25
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... ﴿١٣٠﴾	طه 130	25
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ... ﴿١٣١﴾	طه 131	25
وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا ... ﴿٣٦﴾	الأنبياء 36	25

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ ... ﴿٤١﴾	الأنبياء 41	25
وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ ... ﴿٤٦﴾	الأنبياء 46	26
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ... ﴿١٠٧﴾	الأنبياء 107	26
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾	الحج 42	26
قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾	المؤمنون 93	26
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾	المؤمنون 97	26
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾	المؤمنون 98	26
قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ... ﴿٥٤﴾	النور 54	26
تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ... ﴿١٠﴾	الفرقان 10	26
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ... ﴿٣١﴾	الفرقان 31	26
وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾	الفرقان 33	27
أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾	الفرقان 43	27
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ... ﴿٤٤﴾	الفرقان 44	27
وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾	الفرقان 51	27
فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾	الفرقان 52	27
طسٓمٓ ﴿١﴾	الشعراء 01	27
لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾	الشعراء 03	27
إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ ... ﴿٤﴾	الشعراء 04	27
فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾	الشعراء 213	27
وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾	الشعراء 215	27
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾	الشعراء 216	27
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾	الشعراء 217	27
ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾	الشعراء 218	27
وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾	الشعراء 219	27
وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾	النمل 06	28
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾	النمل 70	28
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ... ﴿٤٤﴾	القصص 44	28
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ... ﴿٤٧﴾	القصص 47	28
إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ... ﴿٥٦﴾	القصص 56	28
وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ ... ﴿٨٦﴾	القصص 86	28
وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... ﴿٨٨﴾	القصص 88	28

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ... ﴿٢٨﴾	العنكبوت 28	28
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٣﴾	السجدة 03	28
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ... ﴿١﴾	الأحزاب 01	29
وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾	الأحزاب 03	29
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾	الأحزاب 45	29
وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ... ﴿٤٨﴾	الأحزاب 48	29
وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴿٢٨﴾	سبأ 28	29
قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ ... ﴿٤٦﴾	سبأ 46	29
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ ... ﴿٤٧﴾	سبأ 47	29
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ۖ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾	سبأ 48	29
قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾	سبأ 49	29
قُلْ إِنِ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ... ﴿٥٠﴾	سبأ 50	29
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾	سبأ 51	30
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ... ﴿٤﴾	فاطر 04	30
إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾	فاطر 23	30
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا ... ﴿٢٤﴾	فاطر 24	30
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴿٢٥﴾	فاطر 25	30
يٰسٓ ﴿١﴾	يس 01	30
إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾	يس 03	30
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾	يس 06	30
فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾	يس 76	30
إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾	الصافات 35	30
وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾	الصافات 39	30
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾	الصافات 174	30
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾	الصافات 179	30
ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ... ﴿١٧﴾	ص 17	31
قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾	ص 76	31
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾	ص 65	31
قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾	ص 67	31
قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾	ص 86	31
قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾	الزمر 14	31

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ... ﴿١٠﴾	الزمر 10	31
قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾	الزمر 11	31
قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾	الزمر 13	31
فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ... ﴿١٥﴾	الزمر 15	31
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ... ﴿١٩﴾	الزمر 19	31
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ...	الزمر 38	32
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ... ﴿٣٩﴾	الزمر 39	32
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ... وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾	الزمر 41	32
فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ... ﴿٧٧﴾	غافر 77	32
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ ... ﴿٦﴾	فصلت 06	32
مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ... ﴿٤٣﴾	فصلت 43	32
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴿٥٢﴾	الشورى 52	32
فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾	الزخرف 83	33
وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾	الزخرف 88	34
فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾	الزخرف 89	34
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾	الزخرف 87	34
قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا ... ﴿٤﴾	الأحقاف 04	34
قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى ... ﴿٩﴾	الأحقاف 09	34
فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴿٣٥﴾	الأحقاف 35	34
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾	الذاريات 54	34
وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾	الذاريات 55	34
قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾	الطور 31	34
وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ... ﴿٤٨﴾	الطور 48	34
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾	الطور 49	35
وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾	القمر 02	35
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾	القمر 06	35
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ ... ﴿١٢﴾	الممتحنة 12	35
نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾	القلم 01	35
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ... ﴿٤٨﴾	القلم 48	35
وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ... ﴿٥١﴾	القلم 51	35
وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾	الضحى 1-3	35

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾	الضحى 11	36
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾	الشرح 01	36
وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾	الشرح 02	36
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾	الشرح 08	36
يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾	المزمل 1-2	38
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ... ﴿٨٧﴾	المائدة 87	38
وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾	يس 59	38
يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ... ﴿٨٧﴾	يوسف 87	38
فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ... ﴿٢٩﴾	النحل 29	38
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ... ﴿١﴾	التحريم 01	38
قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾	الزمر 64	38
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ... ﴿٧٣﴾	الحج 73	39-38
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ... ﴿٢٩﴾	يوسف 29	39
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾	الحجر 57	39
قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ... ﴿٤﴾	مريم 04	39
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ... ﴿٢٠٠﴾	البقرة 200	39
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ... ﴿٣١﴾	القصص 31	40
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴿٢١﴾	البقرة 21	40
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾	البقرة 18	40
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ... ﴿١٠١﴾	الإسراء 101	40
وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾	الحجر 6	43
يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾	المزمّل 1	43
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾	المدثر 1	43
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٦٧﴾		44
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴿٤١﴾		45
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴿٦٧﴾		45
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ... ﴿٣﴾	يوسف 3	47
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ... ﴿٤٤﴾	القصص 44-46	47
وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا ... ﴿٣٤﴾	الأنعام 34	47
تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ... ﴿١٠١﴾	الأعراف 101-102	47
وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ... ﴿١٢٠﴾	هود 120	47

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴿١١﴾	آل عمران 10	51-50
قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ... ﴿١٩﴾	الأنعام 19	51
قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ... ﴿٥٠﴾	الأنعام 50	51
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ... ﴿٨١﴾	آل عمران 81	52
لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ... ﴿١٢٨﴾	التوبة 128	54
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ... ﴿١٣٦﴾	النساء 136	54
قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴿١٥٨﴾	الأعراف 158	55-54
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ... ﴿٨﴾	التغابن 08	55
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴿٦٢﴾	النور 62	55
رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ... ﴿١٢٩﴾	البقرة 129	55
كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ... ﴿١٥١﴾	البقرة 151	55
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ... ﴿١٦٤﴾	آل عمران 164	55
هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ ... ﴿٢﴾	الجمعة 02	55
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ... ﴿٣٦﴾	الأحزاب 36	55
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ... ﴿٥٩﴾	النساء 59	56
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ ... ﴿٦٩﴾	النساء 69	56
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ ... ﴿٢٠﴾	الأنفال 20	56
مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ ... ﴿٨٠﴾	النساء 80	56
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴿٦٢﴾	النور 62-63	56
وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ... ﴿٤٨﴾	النور 48-52	56
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴿١٤٤﴾	آل عمران 144	57
مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ... ﴿٢٩﴾	الفتح 29	58
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ... ﴿٤٠﴾	الأحزاب 40	58
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ ... ﴿٢﴾	محمّد 02	59
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾	الأنفال 64	69
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ... ﴿٦٥﴾	الأنفال 65	69
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ... ﴿٧٠﴾	الأنفال 70	70
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿٧٣﴾	التوبة 73	70
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ... ﴿١﴾	الأحزاب 01	70
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ... ﴿٢٨﴾	الأحزاب 28	71
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾	الأحزاب 45	71

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ ... (٥٠)	الأحزاب 50	71
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... (٥٩)	الأحزاب 59	71
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ... (١٢)	الممتحنة 12	72
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ ... (١)	الطلاق 01	72
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ... (٩)	التحريم 09	75
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... (٥٩)	الأحزاب 59	77-76
وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ... (٣١)	النور 31	77
لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ ... (٩)	الفتح 09	81
فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ... (١٩)	محمد 19	89
وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ ... (٧٥)	الإسراء 74-75	89
مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ ... (٦٧)	الأنفال 67	90
شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ... (١٣)	الشورى 13	96
وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ... (١٤)	الشورى 14	97
فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ... (١٥)	الشورى 15	97
وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ ... (٧)	الشورى 07	97
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ... (٨)	الشورى 08	97

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث الشريف	الصفحة
1- " لقد أعطيتُ الليلة خمسا ما أعطيهنّ أحد قبلي ..."	37
2- " أهكذا تجدون حدّ الزّاني في كتابكم ..."	45
3- " لمّا بعثني الله تعالى برسالتي ضقتُ ذرعا ..."	46
4- " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم ..."	53
5- " لو كان موسى و عيسى حيّين ..."	53
6- " مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم ..."	58
7- " مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا ..."	59
8- " لا تنبر باسمي فإنّما أنا نبيّ الله ..."	62
9- " و رسولك الذي أرسلت فردّ عليّ و قال ..."	63
10- " ما هممتُ بشيء مما كان أهل ..."	68
11- " إمّا شيء خرجت تستعين به ..."	70
12- " لا تذكري هذا لعائشة ..."	73
13- " نحن معشر الأنبياء ..."	99
14- " فُضلتُ على الأنبياء بستّ ..."	116
15- " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ..."	120

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية

البيـــــــــــــــــت	الصفحـة
لقد كذب الواشون ما بُحتُ عندهم * * * بليلي و لا أرسلتهم برسيل	17
ألا أبلغ أبا عمرو رسولا * * * بأنّ عن فتاحتكم غنيّ. أي عن حكمكم	17
ألا من مبلغ عني خفافا * * * رسولا بيت أهلك منتـهاها	17
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * * * بسرّ و لا أرسلتهم برسول	17
أَلِكني إليها، و خير الرّسو * * * ل أعلمهم بنواحي الخبر	17
يا خاتم النباء إنك مرسل * * * بالخير كل هدى السبيل هداكا إن الإله ثنى عليك محبة * * * في خلقه، ومحمدا أسماكا	63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصّفحة
المقدّمــة	**أ - د**
المدخــل	**1**
الفصـــل الأوّل: خطاب القرآن الكريم للرّسول ﷺ بصيغة "يا أيّها الرّسول".	**16**
المبحـــث الأوّل: محمّـد ﷺ في القــرآن الكريــم	**16**
1-1- الرّسالة.	**16**
1-2- تعريف كلمة "رسول" لغة و اصطلاحا.	**17**
1-3- ما الفرق بين الرّسول و النبيّ؟	**19**
1-4- محمّد ﷺ من خلال القرآن الكريم.	**19**
1-5- مخاطبة الله إياه (الآيات).	**20**
المبحـــث الثّاني: متى يُخاطب الرّسول ﷺ بـ: "يا أيّـها الرّسول"؟	**37**
2-1- النّداء في القرآن الكريم.	**38**
2-2- حرف النّداء "يا".	**39**
2-3- النّداء على الرّسول ﷺ في القرآن الكريم.	**40**
2-4- جدول إحصائي خاص بالصّيغتين.	**42**
المبحـــث الثّالث: أسرار صيغة: "يا أيّـها الرّسول"؟	**43**
3-1- القرآن الكريم (مكّي – مدني).	**43**
3-2- أسباب النّزول.	**45**
3-3- قصص الأنبياء و وحدة الرّسالة.	**47**
3-4- التّفضيل بين الرّسل و مكانة محمّد ﷺ	**50**
المبحـــث الرّابع: صيغ أخرى غير الخطاب لـورود بإيجابة "رسول".	**54**
4-1- آيات مشتملة على لفظة "رسول" غير مقترنة باسم محمّد.	**54**
4-2- آيات مشتملة على لفظة "رسول" مقترنة باسم محمّد.	**57**
4-3- الآية التي اشتملت على اسم محمّد منفردا.	**59**
خاتمــة جزئيــة	**60**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الثاني: خطاب القرآن الكريم للرّسول ﷺ بصيغة "يا أيّها النبيّ".	62
المبحـــث الأوّل: تعريف النبوة و النبـيّ	62
1-1- لغة.	62
1-2- اصطلاحا.	63
1-3- الوحي و النبوة.	65
1-4- محمّد ﷺ شخصيته و سيرته قبل البعثة.	66
المبحـــث الثاني: متى يُخاطب الرّسول ﷺ بـ: "يا أيّـها النبـيّ"؟	69
2-1- مواضع ذكر يا أيّها النبيّ في القرآن الكريم.	69
2-2- متى يخاطب محمّد ﷺ بلفظ "النبي"؟.	76
المبحـــث الثالث: أسرار صيغة: "يا أيّـها النبـيّ"؟	82
3-1- مختصات الأنبياء.	83
3-2- معاتبة الله لنبيّه بين الادّعاء و الاستقصاء.	89
المبحـــث الرّابع: صيغ أخرى غير الخطاب لـورود كلمـة "نبـيّ".	92
4-1- الوقوف على الآية 81 من سورة آل عمران.	93
4-2- رسالة الرّسل جميعا: التّوحيد / سورة الشّورى، الآيات: 13-14-15.	95
خاتمـــة جزئيـــة	101
الفصـــل الثالث: الموازنـة بين صيغتي:"يا أيّها النبـيّ" و "يا أيّها الرّسول".	103
المبحـــث الأوّل: صيغة: "يا أيّها النبيّ".	103
I/- الموازنـة من النّاحيـة البلاغيـة، الأسلوبيـة.	103
I-1- من الناحية البلاغية.	103
I-2- من الناحية الأسلوبية.	104
I-3- آراء البلاغيين في الأسلوب القرآني.	109
II/- الموازنـة من الناحيـة النّفسيـة	111
II -1- الخطاب القرآني و الرّسل عليهم السّلام.	111
II -2- الرّسول ﷺ و الخطاب القرآني.	114
II -3- المواصفات النفسية للخطاب القرآني.	116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

II -4- كيف استقبل محمّد ﷺ القرآن نفسيا؟	119
III/- الموازنـة من الناحيـة الدّلاليـة	121
III-1- تعريف الدّلالة.	121
IV/- الموازنـة من الناحيـة الصّوتيـة	124
IV-1- علاقة صيغة "يا أيها النبي" بنوعي الخطاب القرآني.	124
IV-2- الكلمة الطيّبة و أثرها في النفس في القرآن الكريم.	126
IV-3- صيغة "يا أيّها النبيّ".	129
V/- من الناحيـة و الصرفيـة.	130
V-1- صيغة "يا أيّها النبي" من الناحية الصرفية.	130
V-2- النحويون و القراءات القرآنية.	132
المبحـث الثاني: صيغة: "يا أيّها الرّسول".	134
I/- من الناحيـة البلاغيـة و الأسلوبيـة.	134
II/- من الناحيـة النّفسيـة.	136
III/- من الناحيـة الدلاليـة.	138
IV/- دراسـة هذه الصيغة من الناحية الصوتيـة.	140
IV-1- "الرسول" صوتيا.	140
IV-2- الجانب الصّوتي و أثره على المعنى.	141
خاتمـة جزئيـة	142
الخاتمـة.	145
قائمـة المصـادر و المراجـع.	150
فهرس الآيـات القرآنيـة.	154
فهرس الأحاديـث الشّريفـة.	162
فهرس الأبيـات الشّعريـة.	163
فهرس الموضوعـات.	164

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية